٢٧٥

HARLEQUIN

روايات احلام

قصر النار

أيما دارسي

www.elromancia.com
مرمورية

قصر النار

اليكس كينغ مالك أكبر الأراضي الزراعية الفسيحة في شمال استراليا ، والحفيد الأكبر لأسرة مرموقة ... إنه رجل جذاب لامع في دنيا الأعمال يعمل على توسيع امبراطورية آل كينغ، لكن عليه أن يختار عروساً وينجب ابناً .

أما جينا ترليزي فأرملة لا تفكر في الزواج بأي شكل خاصة بأليكس كينغ فهو من عالم غير عالمها. ولكن بينهما انجذاب مدمر يخطف الأنفاس. وهي الآن ضيفة في بيته فقط لتحضر عرساً .. فهل تراها هي العروس المطلوبة؟

لبنان: ٢٥٠٠ ل.ل.	البحرين: ١ دينار
سوريا: ٧٥ ل.س.	السعودية: ١٠ ريال
الأردن: ١ دينار	مصر: ٦ جنيه
الكويت: ٧٥٠ فلس	المغرب: ١٥ درهم
الإمارات: ١٠ دراهم	تونس: ٢ دينار
قطر: ١٠ ريال	عُمان: ١ ريال

ISBN 9953-15-119-9

روايات أحلام

تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم

حقوق النشر والطباعة والتوزيع باللغة العربية
محفوظة لشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
بترخيص خطي من Harlequin Enterprises II B.V

كل الحقوق محفوظة، بما فيها نسخ الكتاب بكامله أو جزء منه بأي شكل من الأشكال
تم نشر هذه الطبعة بالاتفاق مع شركة Harlequin Enterprises II B.V.

كل العلامات التجارية استعملت
بترخيص من شركة Harlequin Enterprises II B.V.

كل شخصيات هذه الرواية وهمية. أي شبه بين هذه الشخصيات وأشخاص
حقيقيين أحياء كانوا أم أمواتاً هو محض صدفة

العنوان الأصلي لهذه الرواية باللغة الإنكليزية:
The Arranged Marriage
First published in Great Britain 2002
Harlequin Mills & Boon Limited
© Emma Darcy 2002
Translation © Dar El-Farasha - 2003
ISBN 9953 - 15 - 119 - 9

شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. طريق المطار - سنتر زعرور -
ص.ب: ٨٢٥٤/ ١١ هاتف/ فاكس: ٩٦١-١-٤٥٠٩٥٠- بيروت - لبنان
Email: dfarasha@cyberia.net.lb

أعزائي القراء

لأننا عوّدناكم دائماً على أجمل الروايات العاطفية... ولأننا نعرف أن قراءنا لا يرضون بأقل من الأفضل... ولأن هدفنا دوماً المحافظة على واحة حب تخفّف من وطأة الآلام والهموم في عالمنا... لهذا، اخترنا أن تكون هديتنا إلى قرائنا في بداية هذا القرن هي انضمامنا إلى أسرة هارلكوين Harlequin العالمية.

لماذا هذا الاختيار؟
لأن شركة Harlequin هي رائدة الروايات الرومانسية في العالم أجمع، وهي تتعاون مع أفضل الروائيات في هذا المجال، وتصدر شهرياً أكثر من ٧٠ عنواناً جديداً.

ما هي نتيجة هذا الاختيار؟
ستظل روايات أحلام على سابق عهدها من حيث اختيار القصة الشيقة والأسلوب الرفيع واللغة السليمة... والتغيير الذي ستلاحظونه هو في زيادة عدد الروايات شهرياً، وتنوع الموضوعات لتناسب جميع الأذواق، وسيكون لمشاركتكم باختيار المواضيع المفضلة لديكم وبأسماء الروائيات اللاتي أحببتموهن، الدور الأساسي.

بكل إخلاص
أسرة أحلام

أيمّا دارسي

كانت أيمّا دارسي ممثلة قبل أن تصبح زوجة وأُمّاً. ولاحقاً أخذت تهتم بالرسم الزيتي، ولكنها اعترفت بأنها لم تفلح فيه... بعد ذلك جربت الهندسة المعمارية فوضعت تصميماً لمنزلها الواقع في «نيوساوث ويلز». ومؤخراً أصبحت كاتبة روايات رومانسية، وبحسب ما اعترفت: «أن كتابة الروايات العاطفية من أصعب الأعمال وأشدّها بعثاً للتحدي».

١ ـ قصر الملك

نظرت ايزابيلا فاليري كينغ إلى ابنة أخ زوجها اليزابيث وسرّها أن ترى ملامح القوة على وجهها. كانت ايزابيلا تُعتبر السيدة المسيطرة في أسرة «كينغ أوف كمبرلاي»، والأسرة بنظرها عبارة عن أملاك... وإرث ينتقل من جيل إلى جيل... والأهم من هذا كلّه... الأولاد...

وكان لاليزابيث ثلاثة أبناء، تزوجوا جميعاً السنة الماضية وأنجب منهم اثنان. وهذا كفيل بأن يرضيها.. لكن ايزابيلا لم تكن راضية، «فاليساندرو» هو الوحيد من بين أحفادها الثلاثة الذي يريد أن يتزوج. وزواجه لم يعجب ايزابيلا لأن المرأة التي اختارها ليست مناسبة له.

ولكن كيف تشرح له ذلك؟

كيف تغير له رأيه؟

لقد تقرر موعد الزواج في شهر كانون الأول، بعد حصاد قصب السكر. وها نحن الآن في شهر أيار. ولم يتبق أمام ايزابيلا سوى ستة أشهر لتجعل اليساندرو يفهم، بشكل ما، أنه لن يسعد مع ميشيلا، فهي أنانية لا تفكر سوى في نفسها. مع أنها ماهرة جداً في الوصول إلى مبتغاها بالتملق والمداهنة، مستعملة جاذبيتها لإغراء أليساندرو. ولكن إلى متى سيدوم ذلك بعد الزواج؟ لا سيما أن مثل هذه المرأة

www.rromancia.com

الحريصة جداً على قوامها لن تحبّذ إطلاقاً فكرة الحمل والإنجاب. أتراها ستوافق على إنجاب ولو ولد واحد، أم أنها ستتحجّج وتتملّص وتراوغ وترفض؟

هتفت اليزابيث بإعجاب وهي تنظر إلى حقول قصب السكر الممتدة أمامهما في الناحية الأخرى من خليج «دكنسن» الصغير: «رائع، يا إيزابيلا».

كانتا جالستين على الشرفة بجانب النافورة تشربان الشاي، وكان المنظر من تلك الزاوية مختلفاً جداً عن براري «كمبرلاي»، فالغابات الاستوائية تحيط بكل ما بناه الإنسان.

وتذكرت ابزابيلا الثمن الباهظ الذي دفعوه للحصول على هذه الأرض، والجهد الذي بذله العمال لتنظيفها للتخلّص من النباتات والأعشاب السامة فضلاً عن الحرارة، والرطوبة، والأفاعي التي واجهوها.

وكانت هي قد ولدت بين حقول القصب من والدين إيطاليين هاجرا إلى استراليا منذ ثمانية وسبعين عاماً.

وباستثناء الفترة التي أمضتها في «بريزبين»، حيث تعرفت إلى إدوارد كينغ وتزوجته، قبل أن يشارك هو وأخوها إنريكو في الحرب في أوروبا، فإن موطنها كان هنا دوماً... وبعد وفاة زوجها في الحرب، رزقها الله الطفل الذي منحها إيّاه إدوارد قبل رحيله... ابنهما، وحبيبها روبرتو.

قالت محدّثة زائرتها: «اختار أبي هذا الموضع لأمي».

ابتسمت اليزابيث مستمتعة بهذا التاريخ: «إنها قصة شاعرية للغاية... أن يبني أبوك هذا القصر لعروسه».

فابتسمت ايزابيلا وقالت تصحح كلام محدثتها: «إنها ڤيلا وليست قصراً. وهي شبيهة بڤيلات روما القديمة. كان هذا المكان

يدعى «ڤيلا ڤاليري» ولكن بما أن أخي لم يعد من الحرب، وأنا تزوجت إدوارد كينغ، حمل ابني وأحفادي اسم «كينغ». وبعد أن مات أبي، أصبح يُعرف بقصر «كينغ» أي الملك».

فسألتها اليزابيث بهدوء: «هل تشعرين بالأسى لأن اسم أبيك وسلالته تغيّر إلى اسم كينغ؟».

فهزت رأسها: «لا، فسلالة أبي لا تزال موجودة وهذا ما كان يهمّه. أن يبقى ما بناه وأسسه في الأسرة لكي يُبنى فوقه. أنت تفهمين هذا، يا اليزابيث».

فأومأت اليزابيث.

فعادت ايزابيلا تقول: «أنت تعلمين أن هذا الانجاز ليس بالأمر السهل، فلدينا هنا، في المنطقة الاستوائية، كوارث أيضاً. فنحن نواجه القحط، والأعاصير، ولقد فقدت إبني في أحدها. كانت تلك الفترة عصيبة فعلاً... روبرتو رحل، ودُمّرت المزروعات... كانت فترة خسارة بكل ما للكلمة من معنى».

وقالت اليزابيث متأملة: «أحياناً أعتقد أن الكوارث تصقل الشخصية، فيتخطى المرء الصعوبات وتزداد قدرة احتماله...».

فقالت ايزابيلا موافقة: «للقتال... للدفاع عما يملك».

لعل ذلك الإيمان الراسخ في صوتها هو ما جعل اليزابيث تنظر إليها باهتمام. ولكن ما الذي رأته هذه المرأة؟

كان الشيب قد غزا شعر كل منهما، ولكن على الرغم من أن ايزابيلا تكبر نسيبتها بعقدين تقريباً، ووجهها أكثر تغضناً، إلاّ أنها في داخلها لا تزال تشعر بحرارة الحياة، الحرارة التي تدفعها لمزيد من العمل قبل أن يأخذها الموت.

وقالت اليزابيث: «جعلت أباك فخوراً بك يا إيزابيلا. حافظت على كل شيء إلى أن كبر أحفادك وأنجزوا ما أنجزوه، تجوّلت أمس

في الأراضي الزراعية مع رافاييل. وقد أعجبنا للغاية بها».

فقالت إيزابيلا: «ولكن من الممكن أن يختفي كل ذلك بومضة عين، بإعصار كالذي أخذ روبرتو وزوجته...».

وهزت رأسها ونظرت بحدة إلى اليزابيث ثم أضافت: «أريد أن يتزوج أحفادي وينجبوا أولاداً حماية للمستقبل. لكنهم لا يصغون إليّ».

فقالت اليزابيث: «أليكس...».

فقاطعتها ايزابيلا: «تعرفت إلى خطيبته ميشيلا بنكس الليلة الماضية أثناء العشاء، فما رأيك فيها؟».

ترددت اليزابيث قليلاً، ثم قالت: «ساحرة جداً... متألقة».

عبست إيزابيل لهذا الرأي الحذر، وبدت السخرية في عينيها: «كالماس، متألقة للغاية وقاسية مثله».

فقالت اليزابيث: «لا أراك مسرورة باختياره».

فأجابت: «لن تكون زوجة جيدة له».

وسرعان ما وجدت اليزابيث نفسها توافق إيزابيلا رأيها فقالت وقد شعرت بالتعاطف معها: «عليك إذن أن تبحثي له عن امرأة أخرى يا ايزابيلا، قبل أن يفوت الأوان».

فأجابت: «أنا؟ وكيف يمكنني ذلك؟ اليساندرو لا يقبل بالزيجات المدبّرة، فكبرياؤه لا تسمح له بذلك».

فقالت اليزابيث: «لقد ضيّع ولدي الأكبر «ناتان» سنوات من عمره مع نساء غير مناسبات. لكن حياته الحقيقية كانت ولعه بالأرض، وأظن أن أليكس مثله».

فقالت إيزابيلا: «هذا صحيح. لكن ميشيلا بنكس لا تشاركه ولعه هذا. الأرض بالنسبة إليها مجرد مصدر للمال ولا شيء غير ذلك».

فقالت اليزابيث: «بحثت عن امرأة تناسب ناتان، فوجدتها، وانسجما تماماً. وهما الآن سعيدان جداً».

فسألتها: «هل أنت من عثر على ميراندا لناتان؟».

فأجابت: «نعم. وجعلتهما يتقابلان صدفة. وسألت الله أن أنجح، وسمع الله دعائي».

فقالت إيزابيلا: «آه، لا بد أن يتقابلا صدفة إذن... وربما يصاحب ذلك شيء من الذكاء!».

فقالت اليزابيث: «يجب ألا نتصرف بشكل فاضح إنما أن ندفعهما قليلاً ليتقابلا. ولكن ليس في اليد حيلة إذا لم يحصل أي تجاذب بينهما...».

فقاطعتها إيزابيلا: «ها... أي امرأة لا يعجبها أليساندرو؟».

فقالت اليزابيث: «المهم أن تعجبه هي أيضاً. ميراندا صارخة الجمال وميشيلا...».

فقاطعتها ايزابيلا: «نعم، جمال اصطناعي بارد... لكنها سطحية».

فقالت اليزابيث: «لكنها جذابة».

ردّت ايزابيلا: «إنها نحيلة كالحسكة. إنه بحاجة إلى امرأة تتحلّى بوركين لتحمل الأطفال وصدر لترضعهم. امرأة تعرف ما هي الوجبة المناسبة لرجل، وأنا لا أعني أوراق الخس».

فضحكت اليزابيث: «حسناً، لكن لا تنسي أنه من المفترض أن تجذب اليساندرو بجمالها، فإذا كانت ميشيلا دليلاً على ذوقه، فلا تختاري له زوجة ممتلئة الجسم».

فقالت ايزابيلا: «لا بد أن تكون لها مقوّمات حقيقية».

فأجابت: «أنت تعرفينه أكثر، يا ايزابيلا. أظنه بحاجة إلى امرأة لائقة، امرأة يمكنها أن تكون شريكة حياة بكل معنى الكلمة».

فقالت ايزابيلا: «نعم. هذا ما يحتاجه اليساندرو. رفيقة حقيقية يسعدها أن تحمل أطفاله».

كانت ايزابيلا راضية تماماً عن هذا الحديث. وكان من حسن الحظ أن جاءت اليزابيث مع صديقها الأرجنتيني الجديد، رافاييل سانتيسو. وهو رجل ممتاز بعيد النظر، وذكّرها بأبيها...

بإمكان اليساندرو أن يكون رجلاً بعيد النظر، هو أيضاً... هذا إذا فتح عينيه ورأى ما يجب رؤيته. ستجعله يرى، ستجد المرأة المناسبة وتريه إياها.

* * *

٢ ـ لقاءٌ مدبَّر

ارتفع صوت آمر ينادي: «جينا! أحدهم يطلب رؤيتك عند الباب».

فوضعت «جينا ترليزي» بسرعة الأزهار التي كانت تغرزها ثم أسرعت من الغرفة الخلفية، متسائلة عمن يسأل عنها، فعمتها، وهي صاحبة متجر الزهور، كانت تفضل التعامل مع الزبائن بنفسها.

ارتاعت جينا عندما رأت ابنها «فاركو»، البالغ من العمر سنتين ونصف، وقد أمسكت بيده بحزم امرأة عجوز. ولم تكن أي امرأة إنما إيزابيلا ڤاليري كينغ.

يقع متجر الزهور في «كيرنس»، وقصر كينغ في مرفأ «دوغلاس» على بعد سبعين كيلومتراً شمالاً، لكن الجالية الإيطالية بأجمعها تعرف تلك السيدة الرائعة وتحترمها للغاية. وارتجفت جينا رهبة وهي ترى نفسها واقفة أمامها.

سألتها المرأة الأرستقراطية بلهجة استنكار: «هل أنت أم هذا الصبي؟».

حوّلت جينا ناظريها عن تلك العينين الثاقبتين لتنظر إلى ابنها الذي رفع بصره إلى المرأة الممسكة بيده وقد تملكته الرهبة ثم أجابت بصوت أبح: «نعم. ماذا فعلت يا ماركو؟ لِمَ لست في الفناء

www.elromancia.com

الخلفي؟».

نظر إليها بانتصار، وعيناه البنيتان تلمعان، وعلى وجهه ابتسامة جذابة ثم قال بزهو: «وضعت صناديق، ثم تسلقتها وفتحت البوابة».

وهذا يعني أن وجوده معها في العمل لم يعد آمناً. وتأوهت ساخطة وسألته: «ثم ماذا؟».

فأجاب: «ركبت دراجتي».

فقالت المرأة العجوز: «كان يقود دراجته بأقصى سرعته حتى كاد يصدمني».

جمدت جينا مكانها مواجهة الموقف بأفضل ما تستطيع: «أنا آسفة جداً يا سيدة كينغ لأنه كاد يسبب لك ضرراً. وأنا شاكرة لك جداً لأنك أحضرته إليّ. ظننته يلعب في الفناء الخلفي بأمان».

فأجابت المرأة: «يبدو أن ابنك صاحب جرأة وإقدام. وعليك أن تضعي دوماً في بالك أن الأولاد كثيرو الحركة ولا يمكن التغافل عنهم».

هذه النصيحة الرقيقة خففت من توتر جينا فردّت: «سأفعل. أشكرك مرة أخرى يا سيدة كينغ».

تأملتها السيدة كينغ ملياً، وكأنها تريد أن تسجّل في ذاكرتها كل تفصيل من تفاصيلها. شعرها الطويل البني الفاتح اللون، وغرتها المقصوصة فوق جبينها، وعيناها الكثيفتا الأهداب وفمها الكبير، وملامح وجهها وعنقها الطويل وصدرها الناهد، ونحافة خصرها واتساع وركيها وجمال ساقيها...

خجلت جينا لظنها أن المرأة تقيسها بنظرات ازدراء لعدم رعايتها ابنها بشكل جيد، الأمر الذي لم يكن صحيحاً على الإطلاق. كانت جينا تباهي بأنها أم جيدة إنما كل ما في الأمر أن ماركو يصبح أحياناً مشاغباً صغيراً.

قالت السيدة كينغ: «عرفت أنك أرملة».

فدهشت جينا وأجابت: «نعم. هذا صحيح».

فسألتها: «منذ متى؟».

فأجابت: «منذ سنتين».

فقالت: «لعل الصبي بحاجة إلى رجل».

احمّر وجه جينا لما تضمنه هذا القول من نقد وأجابت: «ماركو له خالان».

عادت تسألها: «أنت شابة جذابة للغاية. هل لديك صديق؟»

فقالت جينا متلعثمة بعجز بسبب هذه النظرات الثاقبة الباسمة: «لا. أنا... أهـ... لم أتعرف إلى أحد... أنا...».

فقالت السيدة كينغ: «أتعنين أنك كنت تحبين زوجك كثيراً؟».

فأجابت: «حسناً، نعم...».

فقالت المرأة: «هذا ليس حسناً بالنسبة إلى الطفل فأنت تعملين في هذا المتجر ولا يمكنك رعايته جيداً. أنت بحاجة إلى زوج يساندك. الرجل المناسب الذي يرفع عنك هذا العبء».

فقالت جينا موافقة: «نعم».

وماذا تقول غير ذلك؟ لم تجرؤ على مجادلة ايزابيلا ڤاليري كينغ. كل ما رجته هو ألاّ يؤذي هذا شعور عمتها التي وقفت بالقرب منهم صامتة. فصلة الدم وحدها دعت العمّة لمنحها عملاً هنا والسماح لها بإحضار ماركو معها، طالما أنه يحسن التصرّف.

ولهذا ستواجه حتماً المشاكل عندما تذهب السيدة كينغ. على أيّ حال، لم تخرج السيدة على الفور فبعد تلك المحاضرة عن وضع جينا، غيّرت الحديث تماماً وسألتها: «أنت أيضاً تغنين في الأعراس؟».

فأجابت: «نعم».

كيف عرفت كل هذه الأشياء عنها؟ وعادت المرأة تقول: «أرسل إليّ وكيلك شريطاً بصوتك. صوتك جميل».

فأجابت: «شكراً».

فقالت السيدة كينغ: «هل تعلمين أن عرساً سيقام عندنا في القصر؟».

فأجابت: «نعم. طبعاً».

كانت أعراسهم الأروع والأكثر بذخاً.

فقالت المرأة: «أنا أبحث دوماً عن مغنين جدد، وقد وجدت أنه من الأفضل اختيار الصوت في قاعة الرقص عندنا فالمعطيات تختلف فيها عنها في استديو التسجيل».

قاعة الرقص الشهيرة! لم تذهب جينا يوماً إلى هناك، لكن الجميع يتكلّم عن القصر. أترى هذه هي فرصتها للغناء في أعراس خيالية؟ أيمكنها أن تطلب أجراً أعلى؟ فضلاً عن بدل نقل؟ فالمسافة بين «كيرش» ومرفأ «دوغلاس» تستغرق ساعة بالسيارة. وسبح عقلها في أفكار وتخيّلات مثيرة.

وقالت لها المرأة: «سأطلب اختباراً لصوتك. هل أنت متفرغة بعد ظهر الأحد؟».

فأجابت: «نعم».

لم يكن يهمها لو طلبت منها القمر، فهذه فرصة ضخمة لها تكسب من ورائها أكثر من تلك المبالغ الضئيلة التي تكسبها عادة من الغناء.

قالت السيدة كينغ: «هذا حسن. أنتظرك عند الساعة الثالثة إذن، وأحضري ابنك معك».

نظرت إلى ماركو الذي ما زالت يده في يدها. من الغريب أنه لم يحاول سحب يده من قبضتها. بدا، في الواقع، مخلوب اللب بهذه

السيدة التي تتحدث إلى أمه بمثل هذه السلطة.

سألته السيدة: «هل ستزورني مع أمك يا ماركو؟».

لكن جينا خافت أن تفسد حركات ابنها الإختبار الذي ستؤديه، فقالت: «يمكنني أن أوكله إلى من يرعاه».

لكن السيدة نظرت إليها بصرامة: «لا. لن تفعلي هذا».

وكأنما انتبهت إلى حدتها، ابتسمت أولا لماركو ثم لجينا، وقالت:

- إنه لطيف، ويسرني أن أرعاه لأجلك أثناء الاختبار. سنشرب الشاي بعد الظهر على الشرفة الصيفية، ثم أدعه يلعب في الحديقة.

فقالت جينا: «هذا... لطف بالغ منك. شكراً».

تركت المرأة يد ماركو وربتت على رأسه: «اذهب إلى أمك يا ماركو، ولا تركب الدراجة في الشارع مجدداً فهو ليس مكاناً للعب».

ركض الصبي إلى جانب أمه طائعاً وأمسك بيدها.

فسألتها: «كم عمره؟».

أجابت: «سنتان ونصف».

علّقت المرأة بدهشة: «إنه يركب الدراجة جيداً بالنسبة إلى عمره».

فأجابت: «شكراً».

عندئذ، رددت المرأة: «عند الساعة الثالثة من بعد الظهر إذن».

فردّت جينا: «سنكون هناك، يا سيدة كينغ، وشكراً جزيلاً».

* * *

عند الثالثة إلا عشر دقائق، كانت جينا تركن سيارتها أمام «قصر كينغ» في موقف خاص بالزائرين. كان المكان خالياً، ما زاد من توتر أعصابها، فتأكدت للمرة المئة من أن شريط التسجيل الموسيقي لأغانيها موجود في حقيبة يدها. قد لا تحتاجه، فهي لم يكن لديها

فكرة عما إذا كان عليها أن تغني مع الموسيقى أم بدونها في هذا الاختبار. لكنه، على الأقل، موجود معها إذا ما احتاجت إليه. ثم وضعت بعض اللمسات على كحل عينيها وحمرة شفاهها.

وكانت قد أسدلت خصلات شعرها على كتفيها آملة أن تبدو كمغنية محترفة.

أما ماركو الذي استغرق في النوم في مقعده، فقد ارتدى سروالاً كحلياً قصيراً وقميصاً مخططاً بالأحمر والأخضر والكحلي... وحذاءً كحلياً خفيفاً. كانت هذه الألوان تناسب لون شعره وعينيه الداكن فبدا ظريفاً للغاية. واختارت جينا لنفسها ثوباً أصفر من دون كمين، تزيّنه شرائط كحلية على أطرافه وحواشيه وياقته المفتوحة. لطالما شعرت جينا بالأناقة عندما تلبسه، وهذا ما هي بأمسّ الحاجة إليه الآن لتعزز ثقتها بنفسها.

بعد أن حلّت حزام مقعد ماركو، أيقظته برفق، ثم حملته وأخرجته من السيارة. ولحسن الحظ أنه ليس من النوع الذي يتذمر ويبكي بعد النوم.

سألها: «هل نحن في القصر يا ماما؟».

فأجابت: «نعم، سأقفل السيارة فقط ثم نتوجه إليه».

عاد يسألها: «ألا استطيع أن أراه؟».

فأجابت: «ستراه بعد دقيقة».

وعندما أخذا يصعدان الدرجات، راح ينظر بعجب وافتتان إلى البرج الذي يحتل التل. يُقال إن فريدركو ستيفانو ڤاليري، والد إيزابيلا، بناه لزوجته، ويمكن منه مراقبة المراكب الآتية من البحر وحقول قصب السكر أثناء فصل الحصاد.

سألها: «هل يمكننا أن نصعد إليه يا ماما؟».

فأجابت: «ليس اليوم يا ماركو. لكننا سنرى قاعة الرقص، وفيها

كرات ضخمة مغطاة بمرايا صغيرة ومعلقة في السقف، وأرض خشبية مفصّلة بأشكال جميلة».

كان يحيط بالدرجات من الجانبين صفّان من أشجار النخيل الرائعة، وشرفات يزينها الكثير من الأزهار والنباتات الإستوائية. سارا في طريق مبلّط تحفّ به من الجانبين مروج خضراء رائعة الجمال وينتهي بمجموعة من الأعمدة تحيط بساحة أمام القصر. تحتل هذه الساحة مساحة فسيحة جداً في وسطها نافورة تحيط بها مجموعة من الكراسي ومناضد جلس إلى إحداها ثلاثة أشخاص.

فكادت جينا تترنح توتراً وإثارة لدى رؤيتهم.

كان اليساندرو كينغ جالساً مع جدته بل اليساندرو كينغ وخطيبته. فقد سبق ورأت صورتها في إحدى الصحف مع مقالة عن خطبتهما. وذكّرت نفسها بأسى أنه ذهب وانتهى، مع أنها لم تحصل على أي فرصة للتعرف إليه على أي مستوى اجتماعي... حتى هذه اللحظة. ولكن إذا كان من رجل يمكنه أن يسبب لرأسها الدوران ولقلبها الخفقان فهو هذا الرجل... ملك قصب السكر.

لقد أحبت انجيلو زوجها من دون شك، ولكن هذا الرجل لطالما كان بالنسبة إليها حلماً يصعب تحقيقه. شخصت نظراته إليها وهي تقترب مع ابنها ماركو، فشعرت جينا بقلبها يخفق وساقيها ترتجفان.

كان وسيماً... إلى حدّ لا يوصف، تحيط به هالة من السلطة توحي للناظر إليه أن بإمكانه أن يواجه أي شيء في الحياة. كان، مقارنة مع الرجال الآخرين، ملكاً حقيقياً.

ابتسم لماركو الذي كان يركض بجانب جينا، فخففت الابتسامة من صلابة ملامحه، مسبغة عليها سحراً دافئاً. وغمز ابنها بعينيه الزرقاوين المذهلتين، اللتين بدتا لامعتين في وجهه الأسمر الذي لوحته الشمس. أمّا شعره فأسود مموّج إيطالي الطابع، لا بدّ أنه ورثه

عن أبيه.

كان على جينا أن تتوجه إلى الجدة ايزابيلا أولاً. لكنها، ومن دون وعي منها، توجهت إلى حيث جلس اليساندرو. وقف يحييها، ما جعلها تشعر بطول قامته وضخامته فرأسها لم يكد يصل إلى كتفيه العريضتين.

عادت فنظرت متأخرة، إلى الجدة التي جاءت بناء على أوامرها والتي يفترض أن تحظى بالاهتمام الأول. وأخذت جينا تذكر نفسها بأنها هنا من أجل العمل... العمل... ولا شيء سوى العمل... لكن هذا لم يمنعها من أن تشعر بالانجذاب إلى رجولة اليساندرو كينغ.

وقالت الجدة باسمة بلطفٍ أراح جينا: «هذا حفيدي اليساندرو».

ألقت جينا نظرة على العينين الزرقاوين الرائعتين، بينما تابعت الجدة تعريفها: «وخطيبته ميشيلا بنكس».

أومأت جينا باسمة للمرأة التي أجابتها بالتواء سريع من شفتيها المكتنزتين. كانت ميشيلا بنكس رائعة الجمال بشعرها الذهبي المسترسل إلى الخلف وملامحها المتناسقة وعينيها اللوزيتين الخضراوين وأنفها المستقيم وعنقها الطويل الذي يبرز أناقة قوامها النحيف الأشبه بقوام عارضات الأزياء.

كانت ترتدي بلوزة ذات قبة عالية لا ترتديها سوى النساء البالغات النحافة.

وشعرت جينا على الفور بأنها سمينة أمام مصممة الأزياء تلك، رغم أنها لم تكن كذلك على الإطلاق وإنما بنيتها تختلف شكلاً عن بنية ميشيلا. إلا أن ذلك لم يخفف الثقل الذي شعرت به جينا في قلبها. هذا هو نوع النساء الذي يريد اليساندرو أن يتزوج به. وسيتزوج به.

قالت ايزابيلا منهية التعارف: «هذه جينا ترليزي وابنها ماركو».

فقال حفيدها مرحباً بحرارة: «يسرني التعرف إليكما، يا جينا ويا ماركو. ترليزي أسرة جيدة. أما زلتم تعملون في صناعة مراكب الصيد؟».

كان صوته العميق يرسل بهجة في كيانها، فأجابت مستغربة معرفته بهم: «ما زال معظم الرجال يصنعونها».

منذ سنوات بعيدة، كان أبوه، روبرت كينغ، قد موّل أسرة ترليزي لكي تبدأ صيد السمك. وكان جد جدّه، فريدريكو ستيفانو ڤاليري، قد اعتاد تمويل المهاجرين الإيطاليين إذا لم يعطهم المصرف قروضاً. كان الجميع يعلم أن أسرة كينغ ستمدّ يد العون إذا ما رفضت ذلك المؤسسات التقليدية شرط أن ينجح طالب القرض في عمله. وعلى حد علم جينا، لم يخيّب أحد قط ثقة آل كينغ به.

وتابع اليساندرو بصوت مليء بالعطف: «وأنت أرملة أنجيلو؟».

أومأت برأسها وقد ازدادت عجباً لمعرفته باسم زوجها بينما تابع هو قائلاً: «أتذكر أنني قرأت عنه. خرج لينقذ بحاراً وحيداً تحطم يخته على شعاب البحر الصخرية».

فقالت بصوت مختنق: «لقد هزمته العاصفة وغرق الإثنان».

فقال باهتمام: «إنه رجل شجاع، وخسارة كبيرة لك ولابنه. أظن أن أسرتك تعتني بك».

فقالت: «نعم».

ـ هذا حسن. قالت لي جدتي إنك ستأتين للغناء عندنا، لا بد أن تشربي شيئاً أولاً. تفضلي.

وأشار إلى الكرسي الخالي في الناحية القريبة من الطاولة، قبالة خطيبته: «ماذا تريدين؟ عصير فاكهة أم ماء؟».

فأجابت: «ماء من فضلك».

وسأل الطفل: «وأنت، يا ماركو؟».

فأجاب: «أريد عصيراً من فضلك».

عندئذ قالت جينا بسرعة: «نصف كوب فقط، فهو لا يشرب أكثر من ذلك».

فقال بابتسامة أخرى دافئة: «لابأس».

وقالت خطيبته ببطء، لتجذب انتباه جينا إليها:

ـ أنت إذن مغنية محترفة؟

فأجابت: «أغني عادة في حفلات الأعراس وأعياد الميلاد ومناسبات أخرى... ولكن لا يمكنني القول إنني أعتاش من هذا العمل».

قالت ذلك بصدق، إذ لم تجد فائدة من الإدعاء في الواقع، غالباً ما يطلبون منها أن تغني للأسرة أو للأصدقاء بدون أجر على الإطلاق.

فقالت المرأة بلهجة انتقادية: «لا بدّ أنك تلقيت تدريباً على الغناء».

وساء هذا جينا. ما شأنها هي بها؟

وأجابت: «إذا كنت تعنين دروساً في الغناء، فنعم. وقد اشتركت في مباريات كثيرة على مرّ السنوات».

فسألتها: «لماذا إذن لم تتخذيها مهنة؟».

عندها تدخلت الجدة بجفاء: «المهنة ليست في قائمة الأولويات عند الجميع».

فهزت ميشيلا كتفيها: «إذا كان صوتك جميلاً فأنت تضيعينه سدى».

ورفعت حاجبيها المرسومين بعناية، فاقشعر جلد جينا لهذا التهكّم والازدراء. لماذا تريد خطيبة اليساندرو أن تحط من شأنها؟ إنها امرأة تملك كل شيء وقد تحسدها بقية النساء على هذا الرجل

الذي تضع خاتمه في إصبعها.

لكنها أجابت ببساطة: «ليست هذه الحياة التي أريد أما ما إذا كان صوتي جميلاً أم لا».

ونظرت إلى الجدة، قبل أن تردف:

ـ أنا هنا لكي تحكم عليه السيدة كينغ.

فقالت الجدة وهي تبتسم مشجعة: «وأنا متشوّقة لسماعه ولمعرفة ما إذا كان يماثل اداءك على الشريط..».

والتفتت إلى حفيدها: «ولا بد أنك تحب أن تغني لك جينا في عرسك، يا اليساندرو».

خيّم الصمت بعد هذا السؤال، ما جعل جينا تشعر بأن على هذه المائدة توتر لا علاقة لها به. أو لعلها أصبحت مركز اهتمامهم من دون وعي منها؟ وبهدوء بالغ حملت كوب الماء وشربت.

نظرت ميشيلا إلى اليساندرو تطلب منه العون بشكل واضح. فقال لجدته وقد بدا عليه صبر مؤلم: «جدتي. لقد سبق وتحدثنا في هذا الأمر، ميشيلا تريد في عرسها عازف قيثارة وليس مغنية».

فقالت الجدة بوقار هادىء: «لقد سمعت ما تريده ميشيلا يا اليساندرو. فهل تراني سمعت ما تريده أنت؟».

فقال بشيء من العبوس للمشاكسة التي كانت خلف هذا السؤال: «إنه يوم العروس».

نظرت إيزابيلا إلى خطيبته بعجب ساخر وشعرت جينا على الفور بأن تلك النظرة تخفي الكثير، وسألتها: «أهذا رأيك يا ميشيلا؟ العرس للعروس فقط؟ وعلى العريس أن يقبل بكل ما تريده العروس؟».

بدت ابتسامة غرور صغيرة على فم ميشيلا: «أليساندرو سعيد من أجلي، وأنا أودّ أن يحيي عازف قيثارة زفافي».

فقالت الجدة: «لا أظن أبداً أن القيثارة، أو أي آلة موسيقية أخرى، يمكنها أن تبعث في النفس الدفء والعواطف نفسها التي يبعثها صوت إنسان».

أجابت ميشيلا: «إنها مسألة ذوق. القيثارة بديعة للغاية».

فقالت الجدة: «من دون شك. على أيّ حال أظن أن المجال واسع بما يكفي لأمور أخرى غير القيثارة لتسلط الضوء على الحب في يوم عرسك».

وابتسمت لجينا ثم سألتها: «هل انتعشت الآن بما يكفي لكي تغني؟».

وضعت جينا كوبها ثم أمسكت بحقيبة يدها: «نعم. شكراً. لقد أحضرت معي شريطاً موسيقياً يرافق الغناء. هل من آلة تسجيل في قاعة الرقص؟»

فأومأت المرأة لحفيدها: «طبعاً. سيضعه اليساندرو لك ويعطيك جهاز تحكم عن بعد لتتمكني من الاستراحة بين الأغنيات».

أخذ قلب جينا يخفق. هل سيستمع هو أيضاً إليها؟ ولمحت عقدة غيظ بين حاجبي ميشيلا بنكس. لكنها تجاهلتها وتوجهت بالشكر إلى اليساندرو.

فقال برقة: «بكل سرور».

على الرغم من لطافته لم تستطع جينا منع نفسها من التساؤل عما إذا كان هو أيضاً مغتاظاً من مناورات جدته.

وقفت إيزابيلا، فكانت هذه إشارة نهائية بأن يقف الجميع. وأسرعت جينا تأخذ الكوب من يد ماركو وترفعه عن الكرسي، فسألها: «هل ستتفرج الآن على قاعة المرايا، يا ماما؟».

فأجابت: «نعم».

فقالت إيزابيلا له: «هيا يا ماركو أعطني يدك، سأريك كل شيء

بينما أمك تستعد لتغني لنا».

استجاب لها من دون تردد وركض إليها ثم أمسك بيدها بشوق، وعيناه تلمعان بسعادة. ما الذي جعله بهذه المرونة مع هذه السيدة المسنة بينما هو عادة، عنيد ينفر من الغرباء؟ وتملك جينا الشك في أن يتصرف بهذا الشكل مع ميشيلا، فيأخذ يدها على الفور. لكن ايزابيلا كينغ... أتراه ينجذب غريزياً إلى السلطة التي تنضح منها؟.

هذا هو الواقع حتماً، حتى ميشيلا ما كانت لتعارض من هذه الناحية. لكن جينا كانت تشعر بعداء هذه الشابة حين انتقلوا جميعاً إلى قاعة الرقص، فراحت تتساءل عما إذا كانت ايزابيلا كينغ تستغلها في معركة تشنّها ضد عروس المستقبل.

وكانت ترجو ألاّ يكون الأمر كذلك. فهي بحاجة إلى هذه الفرصة لتنشىء بينها وبينهم علاقة عمل مستقيمة.. علاقة يمكنها أن تعتمد عليها لتحسّن وضعها ووضع ماركو. ولكن عليها الآن أن تضع كل هذا جانباً وتركز على غنائها.

كما أنها لن تتحمل فكرة الفشل أمام أليساندرو كينغ، وليست مستعدة لأن تمنح خطيبته سبباً للسخرية من إدائها. عليها أن تغني جيداً.

عليها ذلك...

وإلا، فستموت من المذلة!

* * *

٣ ـ من هذه اللحظة فصاعداً

قالت ميشيلا لخطيبها بصوت خافت يشبه الفحيح: «هل يفترض بنا أن نكون حاضرين أثناء الاختبار؟».

فقطّب في وجهها قائلاً: «نعم».

أدارت عينيها نحو السماء وكأن أحداً ذبحها للتوّ، وهي تتبع جدته وضيفتها إلى قاعة الرقص.

وجد اليكس نفسه منزعجاً للغاية من نقص كياسة ميشيلا وتهذيبها، خصوصاً نحو جينا ترليزي. فقد شعر نحو الأرملة الشابة وطفلها بمحبة فورية. لماذا لا تستطيع ميشيلا أن تتمنى الخير لجينا بكل بساطة، بدلاً من أن تقيس موهبتها الغنائية بنشاطها هي وطموحها؟ من الطبيعي والبديهي جداً ألا تجرجر أم مسكينة ابنها في النوادي وعلى ميشيلا أن تلطّف طبعها قليلاً وتحترم قيم الآخرين وظروفهم. ولن يضرّها التفاوض مع جدته للتوصل إلى حلول ترضي الطرفين فلا يجوز إبعاد الجدة عن القرارات، فالعرس شأن عائلي بالنسبة إليها، وهذه هي التقاليد الإيطالية.

وبما أنه لم يعطِ جدته جواباً محدداً بالنسبة إلى عازف القيثارة، أدرك أن عليه أن يبدأ باتخاذ دور أكثر فاعلية في الترتيبات، فهناك

أشخاص لا يجب التغاضي عنهم. وتذكّر زيارة اليزابيث مؤخراً، واهتمامها بدورها بعرس ابنها. لا بد أن جدته ستشعر بأنها استبعدت عن عرسه عمداً، ولن يكون ذلك عملاً صائباً.

كانت الطاولات في قاعة الرقص قد نظمت كالمعتاد، حول خشبة المسرح، وما إن دخلوا جميعاً حتى جلست ميشيلا إلى مائدة خلفية ملاصقة لباب الخروج، وقد بدا واضحاً أنها لا ترغب إطلاقاً في حضور هذا الاختبار.

تضاعف غيظ اليكس وهو يرافق جدته إلى المائدة التي اختارتها، في منتصف القاعة. وبعد أن اطمأن إلى جلوسها مع الصبي الصغير، رافق جينا ترليزي إلى خشبة المسرح لكي يجهّز الموسيقى، فتتمكن من تأدية أغنيتها بأفضل ما يكون.

كانت يدها ترتجف قليلاً وهي تخرج الشريط الموسيقي. أتراه توتر أعصاب؟ أو انزعاج من تهكّم خطيبته؟ أيّا يكن إحساسها، فقد شعر به. وأمسك الشريط منها، ثم ضغط على يدها المرتجفة بيده، رغبةً منه في منحها بعض الدفء والقوة، وإعادة الثقة إلى نفسها.

قال دونما الاهتمام في ما لو بدا عديم الوفاء: «لا تهتمي بميشيلا. غنّي لابنك ماركو، تصوري أنك تغنين في عرسه».

احمر وجهها، ورفعت إليه ناظريها فإذا بعينيها اللتين كان يظنهما بنيتين فاتحتين تسحرانه بلونهما الذهبي. بدتا وكأنهما تغمرانه بمزيج من الارتياح وعرفان الجميل وتعكسان عجباً مؤثراً للغاية لاهتمامه هذا.

شعر بحافز يدفعه لكي يأخذها بين ذراعيه... لكي يخفف عنها ويحميها، لولا أن تعقّله منعه من الإقدام على هذا التصرف غير المبرّر وغير المناسب. قوة هذا الشعور أذهلته وحملته على التأمل، فهو يكاد لا يعرف هذه المرأة.

وتمتمت بصوت أبح: «شكراً. أنت لطيف للغاية».

كان فمها كبيراً سخياً، يصلح تماماً للغناء كما حدث نفسه. وراح يكبح بشدة أفكاره العنيدة عن المشاعر المحمومة. وانتبه فجأة إلى يدها التي ما زالت في يده، فضغط عليها بسرعة يطمئنها، قائلاً: «ستكونين على ما يرام، تذكري فقط أن جدتي ما كانت لتدعوك لإجراء هذا الإختبار لو أن صوتك لم يعجبها».

أومأت برأسها، فترك يدها وابتعد ليضع الشريط في آلة التسجيل بجانب خشبة المسرح. كان من المقلق جداً أن يجد نفسه مهتماً بأنوثتها إلى هذا الحدّ. صحيح أن الاهتمام بها أمر إنساني، ولكن ما شعر به يهدّد العهود التي قطعها لميشيلا، فبالرغم من استيائه من تصرف خطيبته لا ينبغي له أن يهتم لسواها.

بعد أن حضّر جهاز الصوت، حمل إليها آلة التحكم عن بُعد وسوّى لها المايكروفون.

ولكن كلما نظر إليها، كانت عيناها العسليتان المعبرّتان تجذبانه، فيشعر نحوها بارتباط يفوق مناعاته.

منحها آخر ابتسامة مشجعة وهو يتركها على خشبة المسرح. أراد أن يبتعد عنها وعن سحرها، فتوجه إلى خطيبته. لكنه عاد فغيّر رأيه في منتصف الطريق، مفضلاً الجلوس مع جدته وابن جينا، على أن يجلس بجانب امرأة سلبية عديمة الاهتمام. قد يهز تصرفه هذا ميشيلا ويجعلها تعيد النظر في سلوكها. أومأت جدته برأسها استحساناً للمعونة التي قدمها إلى جينا. وإذ شعر بشيء من الذنب، أشار إلى خطيبته بأن تنضم إليهم، لكنها ردّت بالرفض، وبقيت متكاسلة على كرسيها مظهرة، بسأم، أنها لن تبارح مكانها. صرف اليكس بأسنانه. تباً له إذا ما انتقل من مكانه، هو أيضاً!

قالت الجدة: «نحن جاهزون، إذا كنت أنت كذلك».

ركز أليساندرو على المرأة التي احتلت الآن خشبة المسرح. كانت أصغر من ميشيلا، ولعلها في منتصف العشرينات. كان الثوب الأصفر المتواضع الذي ترتديه يبرز قواماً جميلاً وأنثوياً. وعلى الرغم من أن جينا لم تكن تلك المرأة الجذابة جداً مثل ميشيلا، إلاّ أن اليكس لم يستطع أن يمنع نفسه من التفكير في أنّ أيّ رجل سيشعر بارتياح كبير وبفخر إذا ما تأبط ذراع جينا ترليزي.

عندما ارتفع صوت الموسيقى، لاحظ اليكس أن نظراتها لم تكن موجهة إلى جدته، وإنما إلى ابنها الذي جلس على كرسي بجانب باحة الرقص. ابتسم لنفسه، مدركاً أنها اتبعت نصيحته، فهي توجه أغنيتها للطفل الصغير الذي ينعكس حبها له.

صدح صوتها الرائع في القاعة برنينه الجميل، من دون ضعف أو هشاشة. أدّت أغنية (لأنك أحببتني)، ووضعت جينا في كل كلمة من المشاعر والإحساس أكثر مما وضع صاحب الأغنية الأصلي.

ثم حوّل أليكس اهتمامه إلى الطفل الذي ترك كرسيه وتقدم إلى باحة الرقص وقدماه تهتزان مع النغم وكذلك كتفاه وذراعاه. رفع وجهه إلى أمه التي ابتسمت له وراح يقلدها في إشاراتها وتمايلها فكان الإثنان يتحركان على النغم بانسجام.

وعندما انتهت الأغنية، صفق بيديه مسروراً وناداها قائلاً: «المزيد، يا ماما».

لم يستطع اليساندرو إلا أن يبتسم مع جدته التي بدت متأثرة بوضوح بهذا المشهد. فقد رقّت ملامحها وارتسمت عليها البهجة التي يجدها كبار السن إزاء فرح الصغار ونادت تقول لجينا: «نعم. نريد المزيد».

أومأت جينا، ثم أخذت نفساً عميقاً وراحت تغني من جديد.

كان غناؤها عذباً. أدّت أغنية قديمة لفرانك سيناترا، وإذ سحر

اليكس بها، نظر إلى الخلف حيث ميشيلا، متوقعاً منها أن تكون مبتهجة مثله بهذه الأغنية، لكنها رمقته بنظرة أغاظته. ألا يمكنها أن تتنازل وتعترف بأن جينا ترليزي تستحق أن تستمع إليها؟

نظر إلى الصبي الصغير، وهو يرقص سعيداً على نغم الموسيقى، وعندما أخذ يصفق في النهاية، لم يستطع اليكس أن يقاوم رغبته في مشاركته التصفيق. ولمَ لا؟ كان الغناء يستحق ذلك، وشعر بالحاجة إلى أن يعوّض عن ابتعاد ميشيلا العنيد. وطلبت الجدة: «أغنية أخرى من فضلك».

كان اليكس يعرف أغاني الأعراس الشهيرة كلها من جدته التي كانت تستمع إليها دائماً لكي تقرر ما تنصح به للأزواج الذين يقيمون أعراسهم هنا. فقد باشرت هذا العمل منذ سنوات، مصممة على صيانة القصر بما تكسبه بهذه الطريقة. وهذا قرار لم يكنِ ضرورياً على الإطلاق حيث أن استثمارات أسرة كينغ بإمكانها أن تغطي صيانة هذا القصر تماماً.

لكن اليكس افترض أنها تستمتع بالتخطيط للمناسبات الكبرى، وبرؤية قاعة الرقص حافلة على الدوام. كما أن ذلك منحها الحق في أن تسأل أحفادها الثلاثة عن مواعيد أعراسهم. وعندما سمع اليكس من جينا أغنية (من هذه اللحظة نصاعداً)، أقسم بصمت على أن يدع جدته تساهم في التخطيط لعرسه سواء أحبت ميشيلا هذا أم لا.

الاحترام مطلوب.

والاحترام سيُمنح.

من هذه اللحظة نصاعداً. . .

* * *

٤ ـ عرضٌ مغرٍ

تحلّق الجميع حول المائدة قرب النافورة مرة أخرى، ليحتسوا شاي بعد الظهر، وراح ماركو يركض سعيداً على المرج الأخضر، مستكشفاً مختلف أنحاء الحديقة. كان يُفترض بجينا أن تشعر بالاسترخاء بعد الانتهاء من تجربتها إلا أن وجود ميشيلا بنكس المزعج منعها من ذلك.

لكن ذلك لم يقلل من السعادة التي شعرت جينا بها. فقد أعجب غناؤها ايزابيلا ڤاليري كينغ التي مدحتها بسرور واضح، وكذلك اليساندرو كينغ. والأفضل من هذا كلّه هو أن ايزابيلا أكدت لها أنها ستوصي بها لدى أصحاب الأعراس التي تقام في القصر. ستغني في القصر كثيراً في المستقبل، وتتقاضى أجراً أكبر بكثير مما كانت تتقاضاه من قبل.

ولا يهم ما إذا كانت ميشيلا بنكس لم تحاول الإدلاء بملاحظة ودود. ربما أرادت أليكس، عصر هذا اليوم لنفسها، فلم يعجبها أنه ساعد ايزابيلا في عملها. رغم أن اليكس لم يبدُ عليه أي انزعاج عند قيامه بذلك.

لقد كان غاية في اللطف والمعونة، ولو لم يكن مرتبطاً بامرأة أخرى، لوقعت حتماً في غرامه. عندما أمسك بيدها، ونظرت في

عينيه، أخذ قلبها يخفق، وسرت قشعريرة في جسدها كلّه. ولكن عليها ألاّ تفكر كثيراً في ذلك، لأنه مرتبط الآن.

لعله لطيف ورقيق مع الجميع.. وهذا لا يعني أنه انجذب إليها بما يشبه انجذابها هي إليه. وكيف يكون ذلك؟ فهي ليست مثل خطيبته!

كانت الكعكة الموضوعة على الطاولة لا تزال تجذبها رغم أنها تناولت قطعة منها. فهي دوماً تشعر بالجوع بعد الغناء إذ يستهلك الكثير من طاقتها.

مد اليكس يده وتناول قطعة ثانية من الكعكة. وإذ رآها تنظر إلى ما يفعل، ضحك وهو يغمز بعينيه مبدياً انتباهه إلى رغبتها هي أيضاً في قطعة أخرى، وقال: «إنه «الكيك» الذي أحبه، ولا يمكنني مقاومة الإغراء».

فقالت متنهدة بسرور: «إنه لذيذ للغاية».

سألها: «أتريدين المزيد؟».

وقدم إليها الطبق فلم تستطع المقاومة: «نعم، من فضلك».

قالت ميشيلا منتقدة: «إنه دسم جداً».

فردّت ايزابيلا: «تناول الطعام الدسم بين الحين والآخر، هو إحدى ملذات الحياة».

عندها، قالت ميشيلا ساخرة وهي تنظر إلى ذراع جينا المكتنزة: «هذا إذا أردت أن تدفعي الثمن».

فقال اليكس ببطء: «بعض الناس تحرق أجسامهم السعرات الحرارية بسهولة».

وابتسم لجينا، قبل أن يضيف:

ـ أظن أن انتباهك الدائم إلى طفل بالغ الحيوية مثل ماركو تمرين دائم لك.

خفق قلبها لمساندته لها نابذاً فكرة خطيبته. إنها ليست بدينة في نظره. إنه معجب بها. لا بد أنه معجب بها ما دام يناصر ضعفها أمام الكعكة الدسمة هذه. أو لعله لا يهتم إذا ازداد وزنها، ولماذا يهتم؟ إنها ليست المرأة التي سيتزوجها.

أجابت قائلة: «ماركو يجعلني مشغولة دوماً».

ثم حولت نظراتها عنه، مروراً بالمرأة النحيلة التي يحبها، وقالت لايزابيلا مبررة شهيتها للطعام الدسم بقولها: «اليوم هو الأحد، وأنا اعتبره يوم استمتاع وتحرّر من القواعد».

فقالت المرأة العجوز توافقها: «هذه هي العادة الإيطالية. كما أنني أحب أن يستسيغ الآخرون طهيي».

فأجابت جينا على الفور: «إنه رائع حقاً».

فقالت المرأة: «شكراً يا عزيزتي».

لم تكن جينا تحاول التفوق على الآخرين، لكنها لم تستطع منع نفسها من الشعور بالرضى لمساندة إيزابيلا لها. كما أنه من قلّة الأدب ألاّ يتناول المرء من الطعام الذي تكبّد الآخرون عناء تحضيره، تحججاً بالحمية. فهذا يبدو وكأنه تجاهل للجهد الذي بذله المضيف لبعث البهجة في ضيوفه. ولعل ميشيلا بنكس لم تشعر بالحاجة إلى اظهار السرور إزاء الضيافة، فقد اكتفت بفنجان شاي مع قطعة ليمون، غاضّةً الطرف عن كل الطعام الذي قُدم لهم.

حدثت جينا نفسها بأن هذا ليس من شأنها. لكن شعوراً قوياً تملكها بأن ايزابيلا لم تكن مسرورة تماماً من اختيار حفيدها لعروسه. وكذلك هي، لكن لعلها الغيرة التي تجعل الكراهية تنمو بسرعة داخلها.

وفجأة، استرعى ماركو انتباهها وهو يركض بسرعة مجتازاً المرج الأخضر، ويداه مطبقتان على شيء ما. راح يصيح بانتصار: «أنظري

ماذا وجدت، يا ماما!».

استدارت ايزابيلا في كرسيها ونادته: «تعال وأرني ماذا وجدت، يا ماركو».

لعلّ ابتسامتها المشجعة، أو هالة السلطة المحيطة بها هي ما جعله يتقدم إليها عند الطرف الآخر من المائدة ويقف بينها وبين ميشيلا متحمساً وعيناه تلمعان بسرور أمام المرأة العجوز. وأدركت جينا أنه يستمتع باهتمامها وتساهلها، فأراد أن يتباهى أمامها. فقال وهو يبتسم بمكر بالغ: «إنها مفاجأة».

فقالت ايزابيلا: «وأنا أحب المفاجآت».

فتح كفيه كالساحر وهو يصرخ: «أنظري».

وإذا بضفدع صغير يعيش عادة في قصب السكر، يقفز على الفور من بين يديه إلى حجر ميشيلا بنكس. فهبّت هذه من كرسيها وهي ترتجف رعباً وبداها تتحركان بذعر تنفضان عنها هذا المخلوق بصفعات عنيفة، وقفز الضفدع على ذراعها قبل أن يهرب نهائياً ناجياً بجلده، بينما أخذت ميشيلا ترتجف من رأسها إلى أخمص قدميها.

صرخت بماركو: «أيها الولد القذر! تحضر ذلك الشيء اللزج إلى هنا وتتركه يقفز عليّ!».

وتقدّمت نحوه وقد ارتسم على وجهها غضب عنيف حاقد، وانحنت بجسمها الضامر ملوّحة بذراعها لتضربه.

أدركت جينا أنها ستضرب ماركو، فقفزت واقفة، لكنها كانت بعيدة لتستطيع منع ذلك، كما أن الذهول منعها من أن تصرخ بها!

لكن اليكس، الذي ترك كرسيه، أمسك بذراع ميشيلا بقوة محذراً، في حين مدّت إيزابيلا يديها مبعدةً ماركو عن الخطر.

وقال اليكس بصوت آمر خشن: «لم يحدث أي ضرر يا ميشيلا».

كانت السلطة تنضح منه بقوة، فحبست جينا أنفاسها، وأخذ

قلبها يخفق بعنف.

إنه يحمي ابنها... ينقذه من الأذى الذي كانت خطيبته تنوي إلحاقه به لو استطاعت.

وصرخت ميشيلا غاضبة: «لم يحدث ضرر!».

وكان جسدها ينتفض، وعيناها شاخصتان كحد السكين إلى أليكس لتدخلّه ومنعها من متابعة تصرفها العنيف. وكشرت عن أسنانها في وجه ماركو الذي تراجع إلى الخلف من دون أن يفهم ذنبه، فيما هي تصرخ به بهياج لم يفتر: «لقد أتلفت سروالي بإهمالك القذر».

فقال اليكس بحدة لانفجارها الأخير هذا: «لكنه لم يتلف».

وقالت ايزابيلا بتمهّل: «الأولاد هم الأولاد».

ثم ألقت نظرة مهدّئة على ميشيلا وهي تحيط ماركو بذراعيها تحتضنه وتابعت قائلة: «وكل المخلوقات الحية تخلب ألبابهم في هذا العمر».

فقالت ميشيلا بالحدّة نفسها: «ضفدع قصب السكر! ضفدع القصب البشع الزاحف».

بدا ماركو منكمشاً من الخوف بين ذراعي إيزابيلا الحانيتين، والخوف مطبوع على وجهه وهو يحملق في مهاجمته.

نفضت جينا عنها التوتر الذي تملكها، فابنها بحاجة إلى عونها وطمأنتها له. كان اليكس والجدة ايزابيلا يحميانه، لكنها أمه.

وقالت بهدوء: «آسفة لأن الضفدع قفز عليك يا ميشيلا. لكنني أرجو ألا تلومي إبني ماركو فهو يظن أن الإمساك بالضفادع عمل حسن، إذ أنه يساعد أحياناً، أحد أخواله في ذلك. وقد اعتاد أن يمدحه خاله كلما أحضر له واحداً منها».

تحوّل العنف في عيني ميشيلا نحوها مباشرة: «هل تدعينه يساعد

خاله في الإمساك بهذه الأشياء المقززة؟».

أومأت جينا، محتفظة بهدوء بالغ من أجل ابنها، ثم أجابت: «إنها لعبة عظيمة بالنسبة إلى ماركو. إن خاله ينظم سباق ضفادع لأجل السياح، ويطلق عليها أسماء مثل (فريدون السمين) و(الأمير الساحر) و(مغفّل الغابة)».

رفع أليكس حاجبه، وقد بدا في عينيه تقديره لتحويلها للموضوع، وقال بهزل بينما غضبه يغلي وراء كلماته: «الأمير الساحر؟».

أرغمت جينا نفسها على الإبتسام، شاكرة له عونه على تخفيف توتر الجوّ وصدمة ماركو. وتابعت، مصممة على أن تمنح ابنها مزيداً من الوقت ليشفى من آثار الصدمة.

ـ إذا ربح (الأمير الساحر) في السباق، فيباع لامرأة، ويحاول إقناعها بأن تقبّل الضفدع.

فقالت ميشيلا وهي تضع يدها على فمها اشمئزازاً: «تقبل الضفدع؟».

فقالت جينا بهدوء: «هذا يُحدث صخباً ومرحاً بين المشاهدين، إنهم يستمتعون بذلك. لا أحد يريد أن يصل إلى حد تقبيله، لكن البعض يفعل ويلتقط الصور أثناء ذلك لكي يعرضها على أقاربه في الوطن».

فقال أليكس: «أنا واثق من أنهم يستمتعون بذلك».

ثم استدار إلى خطيبته مضيفاً: «المسألة هي رؤية الأمور بأبعادها الصحيحة، يا ميشيلا».

فقالت ساخرة: «استأذن، أنا ذاهبة لأغسل ذراعي».

واستدارت على عقبيها بازدراء متغطرس ضاربةً عرض الحائط كل محاولاتهم لإنقاذ الموقف. ذهابها بهذا الاحتقار ترك صمتاً مثقلاً

بالارتباك، ونظرت جينا إلى ماركو، فبدا على أهبة الانفجار بالبكاء، بالرغم من كل الجهود التي بذلوها للتخفيف عنه. فتقدم اليكس ليجلس القرفصاء أمامه وقال: «ما رأيك يا ماركو في أن نذهب ونتفرج على السمك في البركة؟».

فأشرق وجه الطفل: «سمك؟».

أجاب أليكس ببشاشة: «نعم. سمك كبير أحمر، وذهبي، وسمك منقط، سنرى كم عددها».

وأخذ الطفل من بين ذراعي جدته الحاميتين، وراح يقذفه في الهواء، ثم ضمه إلى صدره، وسأله: «هل تعرف أن تعدّ؟».

سأله وكأنه يشك في ذلك، فأومأ ماركو برزانة وأخذ يعد: «واحد، اثنان، أربعة، عشرة...».

فقال اليكس: «هذا حسن! سنذهب إذن إلى بركة السمك إذا سمحت أمك؟».

التفت الإثنان إلى جينا التي جمدت مكانها لحظة إزاء الرغبة المحرقة البادية في عينيه لإصلاح الأمر، واخترق هذا الشعور قلبها ناسجاً بينهما رباطاً قوياً.

وهتف الصبي: «ماما؟».

أرغمها التماس ماركو على تحويل انتباهها إليه، فرأت أن آثار البكاء الوشيك محتها الآن الحماسة للإنجاز الجديد الذي سيحققه. فقالت: «نعم. يمكنك أن تذهب».

سمحت له بذلك مستسلمة لضرورة اللحظة، رغم أنها لم تكن واثقة من حسن تصرفها.

أخذت تنظر إلى اليكس كينغ حاملاً ابنها بعيداً إلى مغامرة جديدة شاكرة له هذه المبادرة، وقد تملكها في الوقت نفسه شعور بالتردد بالنسبة إلى نتائج هذا التصرف. أرادت أن تصدق... كل تلك

التخمينات العنيفة... ولكن من المؤكد أن الحل الأفضل بالنسبة إليها وإلى ماركو هو أن يغادرا المنزل، تاركين هؤلاء الناس ليعالجوا خلافاتهم على انفراد.

قالت ايزابيلا تطمئنها: «اليساندرو يحب الأطفال كثيراً. اعتاد أن يعتني بأخويه عندما كانا صغيرين».

أدركت جينا أنها ما زالت واقفة، فعادت تجلس على كرسيها لكي تُظهر لإيزابيلا أنها متأكدة من أن ماركو في أمان مع اليكس.

قالت تستر انزعاجها الداخلي بابتسامة شاحبة: «إنه لطيف للغاية».

كان غضب جينا قد هدأ، لكنها تمنت لو يحضر اليكس ماركو بسرعة لكي تغادر المنزل قبل عودة خطيبته.

أما كيف يمكنه أن يتزوج امرأة بهذا الطبع، فهذا ما لم تفهمه. خصوصاً إذا ما أراد أطفالاً. صحيح أن ماركو ليس ابن ميشيلا، إلا أن مثل هذا الطبع الملتهب بسبب ضفدع صغير، والاندفاع إلى ضرب...

لا... هذا خطأ.

وخطأ فظيع!

كل المشاعر التي أيقظها اليكس فيها عصر هذا اليوم جعلت علاقته بتلك المرأة تبدو خطأً أكثر فأكثر بالنسبة إليها.

* * *

أخذت ايزابيلا تفكر، برضى عميق، بأن الأمور بدأت تسير وفقاً لمخططاتها.

لقد عثرت على ضالتها في شخص جينا ترليزي وابنها الظريف. ولم يساورها شك بشعورها نحو اليساندرو، والتجاذب أصبح متبادلاً بينهما بكل تأكيد. كما أن ميشيلا ظهرت على حقيقتها عصر هذا

اليوم، وإذا لم يلحظ حفيدها هذا الفرق بين المرأتين ويقدّره، فهو أعمى وأخرس وأصم.

لا بد أن يشعر باستياء بالغ من خطيبته.

تصرفاته نحو جينا لم تكن عبارة عن رقة وشهامة فقط. لكن ما تم إنجازه عصر هذا اليوم سيذهب سدى إذا لم يرَ أليكس جينا مرة بعد مرة في الفترة القادمة. أما العقبة الكبرى فتبقى خاتم الخطبة الماسي في إصبع ميشيلا فاليساندرو لا يمنح العهود بسهولة كما أنه لا يسحبها بسهولة لهذا يجب أن تتحطم.

وإذ صممت على أن تضرب والحديد حامٍ، وضعت بسرعة خطة تمكّنها من أن تصل إلى غرضها.

قالت لجينا: «فلنعد إلى العمل. هل أنت مشغولة مساء يوم السبت؟».

تملّك جينا الدهشة لهذا الموعد القريب، لكن اللهفة دفعتها إلى التمسك به، فأجابت: «كلا لست مشغولة، يا سيدة كينغ».

ـ كنت أفكر... أحد أصدقاء حفيدي، أنطونيو، سيقيم عرسه هنا يوم السبت القادم. وأنا أريد أن أقدم له خدمة خاصة. كان قد تقرر إحضار «بيتر أوين» ليعزف ويغني. هل تعرفينه؟.

فأجابت: «لا أعرفه تماماً، لكنني سبق ورأيته وهو يغني. إنه بارع تماماً على البيانو، وماهر في مهنته، إن أغانيه تباع جيداً».

قالت إيزابيلا: «نعم. إنه محبوب جداً. لكنني أظن أن غناءك معه بشكل ثنائي، سيكون ممتعاً للغاية».

استفهمت جينا بذهول: «ثنائي؟».

فأجابتها: «لا بد أنك تعرفين أغنية (كل ما أطلبه منك) من مسرحية «شبح الأوبرا»؟».

ـ نعم.

فقالت ايزابيلا: «أنا واثقة من أن بإمكانكما أن تؤديا تلك الأغنية جيداً. بإمكان «بيتر» أيضاً أن يعزف لك «لأنك أحببتني» و «من هذه اللحظة فصاعداً» ويمكن أن تغنياها أيضاً بشكل «ثنائي»».

قطبت جينا جبينها مترددة: «ولكن.. أتراه يقبل بأن أشاركه الأضواء؟».

فأجابت: ««بيتر أوين» يفعل ما أطلبه منه».

مهما كان المبلغ الذي يقنعه، ستدفعه ايزابيلا له.

وعادت تقول: «عليك أن تتمرني معه خلال الأسبوع».

فقالت جينا: «إذا كنت واثقة من أنه... أعني أنا مجرد هاوية بالمقارنة معه، يا سيدة كينغ».

ابتسمت المرأة بثقة: «آه، لا أظنه سيراك كذلك. دعي الأمر لي، سأتصل بك بعد أن أكلمه. اتفقنا؟».

أجابت: «نعم. شكراً لك».

بدت ايزابيلا مذهولة، نوعاً ما، لكنها صممت على التمسك بهذه الفرصة. هذه الفتاة شجاعة، وإن تسّنت لها الفرصة فستكمل الطريق. إنها تظن أن اليساندرو بعيد عن متناولها، ولكنها ستضعه في متناول يدها...

أو بالأحرى، ستضعها هي في متناول يده. اللقاء... التجاذب الطبيعي... المقارنة بين ما في يده وبين ما يمكن أن يحصل عليه. الإغراء....

قالت لها ايزابيلا، راجية أن يكون لديها ثوب مناسب: ««بيتر أوين» يرتدي دوماً في سهراته بذلة رسمية بيضاء، وستحتاجين أنت إلى ثوب سهرة».

فقالت جينا: «لديّ ثوب أظنه مناسباً».

عندئذ، ابتسمت ايزابيلا وقالت: «هذا حسن، أحفادي الثلاثة

سيكونون في العرس. ويجب أن أعترف بأنني أحب أن أتباهى أمامهم بما أجده لهم».

احمّر وجه جينا، وأسدلت أهدابها الكثيفة تحجب شعور الكرب في عينيها... ولكن ليس قبل أن تلمحه إيزابيلا.

قالت جينا: «سأبذل جهدي لأجعلك فخورة بي، يا سيدة كينغ».

فقالت ايزابيلا: «أنا واثقة من ذلك يا عزيزتي».

خصوصاً وأن جينا عرفت الآن أن أليكس سيكون حاضراً. وربما خطيبته أيضاً، لسوء الحظ...

لكن ايزابيلا كانت واثقة من أن جينا ستسرق الأضواء من ميشيلا ليلة السبت القادم... بما تملكه من فتنة وجاذبية، ولياقة.

* * *

٥ ـ بذور الغيرة

(سيداتي سادتي)

لفت هذا النداء الرسمي الانتباه وخفف من الجلبة في قاعة الرقص. التفت الجميع إلى «بيتر أوين» ببذلته الرسمية البيضاء على خشبة المسرح مع البيانو الأبيض الكبير الذي يزيّنه شمعدان كبير. وأخذ اليكس يفكر بأن هذا الرجل بارع حقاً، ومحبوب جداً من النساء.

كان بيتر يقول: «لدينا الليلة إداء خاص للعروسين».

وأشار إلى مائدة العروسين حيث كان «طوني»، أخو اليكس، يجلس بصفته الإشبين.

ـ وهو هدية من مضيفتنا الرائعة، إيزابيلا كينغ.

أمّا ماتيو أخو اليكس الآخر، فقد كان يشاركه المائدة. وعلى الفور انحنى نحوه هامساً: «ما الذي طبخته الجدة يا ترى؟».

فأجاب اليكس: «لا أدري».

هو أيضاً تملّكه الفضول وهو يرى الجدة ايزابيلا تومىء إلى «بيتر اوين» باسمة.

وتراجع المغني وهو يتابع قائلاً: «اسمحوا لي أن أقدم إليكم... جينا ترليزي».

قالت ميشيلا ببطء ولهجة مطاطة: «حسناً، حسناً.... إنها عصفورتك الغريدة الصغيرة يا اليكس».

حصل بينهما شجار عنيف نهار الأحد الماضي بسبب جينا ترليزي ولم يشأ اليكس أن يحصل أي استفزاز الليلة، لكن المشكلة أن ميشيلا ألصقت به ذنباً لم يستطع إنكاره.

ردد «ماتيو» الجملة مازحاً: «عصفورتك الغريدة؟».

فأجاب اليكس بإشارة مقتضبة: «إنها فتاة جدتي».

ظهرت جينا على المسرح فأخذ «بيتر» يدها وجذبها إلى جانبه، ما جعل شعر اليكس يقشعر على الفور. ما الذي كانت تفكر فيه جدته حين ضمت جينا إلى زير النساء المعروف هذا الذي تطلق مرتين، ويتمتع بسحر بالغ؟ إن وضع امرأة ضعيفة مثل جينا ترليزي في طريقه يمكن أن يسبب لها كارثة بسهولة.

وكان العازف يقول: «أمضينا، أنا وجينا، أسبوعاً كاملاً في التدريب...».

أسبوعاً كاملاً!

تألقت بجانبه بشكل رائع، وقد أشرق وجهها بابتسامة كبيرة، والتمعت عيناها العسليتان بشدة. أما شعرها البني فقد كان منسدلاً على كتفيها. بدا جسدها رائعاً في البلوزة البرونزية الضيقة التي ارتدتها والتنورة الطويلة الشفافة.

وتمتم ماتيو: «هممم... إنها جميلة جداً... جذابة».

وجد أليكس نفسه يفكر في الأمر نفسه، شاعراً بضيق بالغ من سهم المشاعر الذي اخترق كيانه. كانت ميشيلا تجلس إلى جانبه، وهي ترتدي ثوباً أحمر ضيقاً مكشوف الظهر، جعلها تبدو مثيرة جداً، فتحوّلت إليها أعين الرجال الحاضرين كلهم. كانت له، ملكه! فما الذي يجعله يشعر بأدنى قدر من الانجذاب نحو امرأة أخرى؟ وطرأ

على باله فجأة أن جاذبية ميشيلا مصطنعة.

أما جينا فكانت... شيئاً آخر... كانت تمجّد جمال المرأة... وبدا بيتر أوين مستمتعاً بذلك... لا، بل راح ينظر إليها بنهم بالغ.

وأعلن قائلاً: «أحذركم من أن صوت هذه السيدة الجميلة سيأخذ بمجامع قلوبكم. إجلسوا إذن واستمتعوا بهذه الأغنية الجميلة من «شبح الأوبرا»، أغنية تعزف على أوتار قلب كل امرأة ورجل (كل ما أطلبه منك)».

أجفل أليكس عندما وضع العازف ذراعه حول جينا وجذبها نحو البيانو. كان الرجل يتمادى أكثر مما ينبغي.

وقالت ميشيلا بدسّ خبيث: «أتساءل عما إذا أوقعها في شباكه».

وعندما نظر أليكس إليها مقطباً، قالت له بابتسامة ساخرة: «امنح بيتر اوين أسبوعاً...».

وهذا ما فكر أليكس فيه هو نفسه. رغم أنه راح يرجو أن تكون جينا أعقل من أن تقع فريسة لهذا المتملّق. كان الرجل في أواخر الثلاثينات من عمره، متوسط الطول، ظريف الشخصية وبهيّ الطلعة. وتقول الشائعات إن حياته لا تخلو من النساء.

كان ينضح ظرفاً حصلت جينا على قسم وافر منه. ناولها الميكروفون لتغني ثم عاد إلى مقعده أمام البيانو وقد اشتبكت نظراته بنظراتها بسيل باسم من الدعابة البريئة. وفكر أليكس في أنه مجرد رجل استعراض، متمنياً ألا تخدع مظاهره هذه جينا.

بدأ بيتر أوين يدندن لجينا، ساكباً في كلمات أغنيته من الإخلاص ما لا يكاد يصدّق، وعيناه في عينيها. وصرّ اليكس على أسنانه. كان هذا تمثيلاً... تمثيلاً فقط، كما أخذ يحدث نفسه بغضب عنيف.

وتصاعد صوت جينا محلّقاً بحنين غطى على كل شيء آخر. وشمل القاعة سكون غامر وقد أسر المستمعين صفاء هذا الصوت المشحون بالمشاعر. وراح اليكس يفكر في أن التمثيل يتطلب منها أن توجه كلماته إلى زميلها، لكن لا يعني أنها تريد أي شيء منه. إن هذا مجرد اشتراك في التمثيل معاً، ولا يمكن أنها تحس بكل هذه المشاعر نحو بيتر أوين. ولكن رغم كل هذه التبريرات، لم يستطع اليكس أن يرتاح ويستمتع بهذا الغناء الثنائي، حتى أنه انزعج من أخيه فيما بعد عندما تأوه قائلاً: «يا لله... يا له من اكتشاف، هذا الثنائي!».

ومن ميشيلا وهي تضيف قائلة: «هي وبيتر، متناسبان تماماً، وعملهما معاً بالغ الجمال».

ولحسن الحظ، بدأ إلقاء الكلمات الرسمية التقليدية، فلم يعد أليكس مضطراً لأن يصغي إلى المزيد عن نجاح غناء هذا الثنائي. وسره هذا التحوّل الذي أبعد ذهنه عن خشبة المسرح، رغم أنه وجد من الصعب أن يركز ذهنه على ما يقوله الخطباء.

وكان الإشبين ثرثاراً موهوباً يضحك الجميع بقصصه الصغيرة عن العريس والتغيير الذي أدخلته على حياته عروسه الجميلة.

جعل هذا الكلام اليكس يتوقف ليفكر في التغيير الذي أدخله على حياته من أجل ميشيلا. فهو يمضي في المزارع وقتاً أقل، وفي إدارة التمويل في المدينة وقتاً أطول، وأصبح يهتم بعالم الأزياء، فمن المستحيل ألاّ يفعل ما دامت خطيبته جزءاً من هذا العالم. وكان هذا جانباً مختلفاً غريباً من الحياة... حافلاً بالألوان والإبداعات المثيرة. لقد بهره هذا تماماً وبهرته ميشيلا.

انتهى إلقاء الكلمات، وأعلن «بيتر اوين» عن أغنية ثنائية أخرى هي (من هذه اللحظة فصاعداً) التي ألقيت عند قطع كعكة الزفاف. وهذه المرة، تعمّد أليكس إبعاد عينيه عن خشبة المسرح، مبتسماً

للعروسين السعيدين وهما أمام آلات التصوير. وتوقف الغناء أخيراً وابتدأت الأحاديث مرة أخرى.

وقال ماتيو: «عدة أشهر أخرى، يا أليكس، ونراك، أنت وميشيلا، تقطعان كعكة الزفاف».

فضحكت ميشيلا: «أريد الكعكة بثلاث طبقات على الأقل، أريد...».

وتريد أن تنتظر أيضاً ثلاث سنوات على الأقل قبل أن تفكر في إنجاب أولاد، لقد اتضح ذلك أثناء شجارهما الأسبوع الماضي. في الواقع، لم يكن أليكس مقتنعاً بأن ميشيلا تريد إنجاب أطفال على الإطلاق.

لكنه هو يريد ذلك حتماً. يريد... يريد صبياً صغيراً مثل ماركو ترليزي...

انقطع حبل أفكاره عندما سمع بيتر يعلن عن أغنية أخرى خاصة... (لأول رقصة للعروسين معاً...).

كانت أول أغنية سمعها من جينا (لأنك أحببتني). وتحوّلت نظراته رغماً عنه إلى خشبة المسرح عندما وصل صوتها إليه، تماماً كما حدث عصر يوم الأحد الماضي. لم تكن توجه غناءها إلى بيتر الذي عزف لها الخلفية الموسيقية، بل إلى العروسين اللذين راحا يدوران في باحة الرقص، مرسلة إليهما كلمات حافلة بمشاعرها.

راح جسدها يترنح برشاقة، مظهراً أنوثتها الفياضة، وشعرها اللامع يتألق على كتفيها بنوع من الحرية في كل مرة تميل فيها برأسها. وودّ أليكس لو يداعب هذا الشعر...

كان هذا جنوناً... هذه الجاذبية القوية جعلته يرتاب في كل ما شعر به نحو ميشيلا. كيف يمكن أن تؤثر عليه جينا ترليزي إلى هذا الحد وهو لم يعرفها الا مدة قصيرة؟

لم يشأ أن يعيش هذا الصراع مع ذاته وأن يشعر بأنه يفقد السيطرة على نفسه.

انتهت الأغنية بتصفيق واستحسان بالغين. وضع بيتر أوين شريطاً من أجمل الأغاني ودعا الجميع إلى الانضمام إلى العروسين في باحة الرقص فوقف أليكس على الفور مصمماً على الرقص مع خطيبته. كان بحاجة إلى أن يشعر بالصلة بها مرة أخرى، أن يشعر بارتباط كلي بها.

لكن ذلك لم ينجح.

اختارت ميشيلا أن ترقص منفردة، جاعلة الأضواء تتسلط عليها فينظر إليها الرجال باستحسان. إنها ملك له، كما أخذ أليكس يحدث نفسه، ولهذا فالأمر لا يستدعي الاهتمام. فليحسده الرجال الآخرون، وليدع ميشيلا تستمتع بكونها مركز الاهتمام. ألم تجتذب جينا ترليزي هذا النوع نفسه من الاهتمام على خشبة المسرح للتوّ؟

وقبل أن يدرك ما يفعل، راحت نظراته تدور في الأنحاء، تبحث عنها. لقد غادرت المسرح، وكذلك بيتر أوين.

ثم رآهما معاً إلى مائدة جدته.

كانت جينا تبتسم بسعادة لرئيستها الجديدة بينما راح بيتر يثرثر، منتزعاً، من دون شك، الإطراء لإدائهما.

تملكه دافع قوي لأن يترك ميشيلا لمعجبيها، ويسلخ جينا عن مرافقها الماكر، ثم يدور بها في باحة الرقص وهي بين ذراعيه.

وإذا بميشيلا تقول باحتجاج، وهي لا تنفك عن الدوران بشكل مغرٍ: «أليكس... هيا، تقدّم!».

جمد في مكانه. كان مضطرباً إلى حد لم يستطع معه أن يحاول مجاراتها في حركاتها.

ثم قال بخشونة: «ليس لي مزاج لهذا النوع من الرقص».

لمعت عيناها متحدية: «أذن، سأرقص مع آخر».

فقال من دون اهتمام: «افعلي ما تشائين. سأذهب وأتحدث مع جدتي».

كان بهذا يثير المشاكل. وأخذ ينظر إلى ميشيلا وهي تدعو مرافقاً آخر من مجموعة الرجال المحيطة بها فأدرك تماماً أنه يتورط في مشكلة كبيرة. لكن حاجته إلى تحديد مشاعره نحو جينا أكبر.

* * *

٦ ـ حقيقة أو وهم

غريب أن تشعر جينا بهذه الكآبة بعد أن انتهى إداؤها. كانت تعلم أنه يفترض بها أن تشعر بالسعادة لحسن إدائها، فبيتر أوين مسرور منها، واقترح أن يكررا الإداء معاً، وايزابيلا كينغ والآخرون الذين كانوا جالسين معها، أمطروها بالمديح. ومع ذلك كانت متلهفة إلى الذهاب والانفراد بنفسها.

غباء منها أن تدع رؤية أليكس وهو يقود خطيبته إلى باحة الرقص، تؤثر عليها بهذا الشكل، فقد كانا أول من انضم إلى العروسين في باحة الرقص بعد أن أنهت أغنيتها الأخيرة. كانت ميشيلا جذابة جداً بثوبها الأحمر المكشوف. وكان انتباه أليكس مركزاً عليها، ولمَ لا؟ وماذا تتوقع غير ذلك؟

كانت تعنّف نفسها بغضب، عندما قالت ايزابيلا لبيتر مشيرة إليها: «أحضر لها كرسياً يا بيتر من المائدة المجاورة، بإمكانها أن تجلس معي فترة».

فقالت بسرعة: «لا لا. حقاً أريد أن أذهب».

فقطبت إيزابيلا جبينها: «تذهبين؟ أردت منك أن تبقي وتستمتعي بالحفلة. ماركو في أمان في قسم الأطفال و «روزيتا» بجانبه ترعاه».

كانت ايزابيلا قد ألحّت على أن تمضي جينا هذه الليلة في

www.elromancia.com

القصر، وودّت جينا لو تبقى وتتكلم مع أليكس كينغ. ولكن بعد ما رأته أخذت تفكر في طريقة سريعة للهرب.

قالت: «إن المحيط غريب عليه، يا سيدة كينغ، فإذا استيقظ...».

فقاطعتها: «إذا حدثت أي مشكلة...».

مرت هذه الكلمات من دون أن تنتبه إليها، إذ رأت أليكس كينغ يشق طريقه بين الناس في باحة الرقص متجهاً نحوها مباشرة. شعرت من عينيه أنه آتٍ من أجلها هي فهو لم يلتفت إلى أي شخص آخر، ولا حتى إلى جدته.

تملك جينا شعور غريب وأخذ قلبها يخفق واختنقت أنفاسها في حلقها. وقفت جامدة تماماً، منتظرة أن يصل إليها، وهي تكاد لا تصدق أن هذا يحدث حقاً. أيريد حقاً أن يكون معها؟ هل يريد...

لم تجرؤ على أن تتابع التفكير، فقد راح ذهنها يرتجف توقعاً. لكن نظراته كانت موجهة إليها وحدها.

بدا وسيماً بشكل لا يصدق في بذلة السهرة هذه التي أظهرت رجولته الرائعة. وأدركت أنها على وشك أن ترتكب حماقة مع هذا الرجل، فقد أشعل كيانها بشكل لم تعرفه من قبل، ولا حتى مع زوجها.

عندما وصل إلى المائدة، إستدارت جينا إليه بشكل غريزي، وقد لف الضباب كل الحاضرين، حتى أنها لم تعد ترى أيّ منهم. لقد احتلت شخصيته المكان، وأسرتها عيناه الزرقاوان اللامعتان فأصبحت رهن مشيئته.

قال آمراً أكثر منه سائلاً: «تعالي معي».

فأسرعت تقول: «نعم».

خرجت هذه الكلمة منها بخضوع أكثر منه باقتناع.

مد يده وأمسك بيدها، ولعلها رفعتها استجابة لدعوته. كل ما كانت تعرفه هو أنها وجدت يدها في يده، وقدميها تلحقان به إلى باحة الرقص. وهناك، أخذها بين ذراعيه وأخذا يرقصان، فسرى في جسدها تيار حار أشعل مشاعرها.

ألقت يدها على كتفه، وحدّقت إليه، مقاومة رغبتها في أن تحيط بها عنقه... وأن تداعب خصلات شعره... ولكن لا، فهذا يعتبر بحثاً عن المتاعب، مشاكل أكبر مما لديها الآن. عليها أن تتعقّل وتضع خطاً بينهما، فميشيلا في باحة الرقص أيضاً.

ولكن لم يبدُ اليكس مهتماً بما يمكن أن تفكر فيه خطيبته. هل يحتضن كل من يرقص معهن بهذا الشكل؟ كانت قريبة منه إلى حد أنها اشتمت رائحة عطره الذكية... ما جعلها تشعر بالدوار.

هل يمكنه أن يشم عطرها؟ وهل أعجبه؟ كان رأسه مدفوناً في شعرها. ما الذي يفكر فيه؟... يشعر به؟ أحست به يتشممها، مستغرقاً فيها. لم يتكلم، وكانت هي معقودة اللسان بشكل لا رجاء فيه. بدا وكأن الصمت يضخم كل الأحاسيس التي يشعران بها. بديا منسجمين معاً وهو يضغط يده على ظهرها، مانعاً إياها من أن تفلت منه، وهذا لا يعني أنها رغبت في الافلات منه. كان كل نغم من الموسيقى يزيد من حلاوة اقترابهما الواحد من الآخر فقد شعرت به يضطرب لعدم تمكنه من إخفاء تأثره بها، رغم أنه خفف من قوة تشبثه بها وابتعد عنها قليلاً ولكن ليس بالسرعة الكافية.

ودّت جينا لو تكون هذه الإشارات دليلاً على مشاعر عميقة أكثر منها مجرد تصرفات سطحية عابرة. كان هذا جنوناً... إغراءً خطراً... ومع ذلك تمنت أن يكون انجذابها نحوه متبادلاً.

شارفت الرقصة البطيئة التي كانا يرقصانها، على نهايتها، لكن الموسيقى استمرت من دون انقطاع تقريباً وبشكل أسرع بكثير.

وتجاوب الراقصون من حولهما معها، لكن اليكس بقي جامداً، وشعرت جينا بطعنة الم في قلبها. هل انتهى الرقص؟ وهل سيتركها تذهب الآن؟ فيعيدها إلى جدته ويعود هو إلى خطيبته؟

هذه التساؤلات المضطربة جعلتها ترفع بصرها إليه وتقرأ ما ارتسم على وجهه من تعبير. شعرت بقرار عابس يجول في ذهنه، وقد توتر فكّه وزم فمه قليلاً. ثم توهجت عيناه في عينيها وكأنه يطلب منها أجوبة لا يملكها.

قال: «فلنخرج قليلاً إلى الهواء الطلق».

ولم ينتظر منها جواباً، بل أمسك بيدها وراح يشق طريقه خارجاً من قاعة الرقص. وسمّرت هي نظراتها على المخرج المؤدي إلى الشرفة الذي اتجها إليه.

كان قلبها يخفق توتراً، فقد تركته يخرجها من قاعة الرقص بعيداً عن الأعين. ربما كان عليها أن تمنعه، لكنها لم تستطع أن تحمل نفسها على الإصغاء إلى الصوت المحذّر في داخلها.

كان يشدّها إليه مصراً على أن تبقى معه، وأرادت أن تعلم ما سيؤدي إليه كل هذا. إذا لم يكن هو قلقاً من رأي الآخرين فيه، فلماذا تقلق هي؟ ربما أراد فعلاً أن يتنشق بعض الهواء. عندما أصبحا في الخارج، لاحظت جينا أنه يتأمل صامتاً، وينظر ناحية النافورة، ثم انطلق بها مجدداً، وكأنه يريد أن يبعدها عن أنظار الناس جميعاً ليحتفظ بها لنفسه.

لم يتسكع أحد ممن خرج من القاعة ناحية النافورة، ورغم أن الأنوار كانت تضيء المكان إلا أن هذا الجزء من الحديقة بقي مظلماً فأدركت جينا أن اليكس يبحث عن بقعة ينفردان فيها. ومع ذلك، عندما وجداها، تردد إزاء ما عليه أن يفعل بعد ذلك. وعندما وقف، تنفس بصوت مسموع، ثم أشار إليها بالجلوس على مقعد خشبي:

«الأفضل أن نجلس».

أخذ ينظر إليها وهي تجلس، لكنه لم يجلس بجانبها، بل بقي واقفاً على بعد متر منها. بدا التوتر عليه واضحاً بحيث صعب عليها الاسترخاء وتملكها إحساس مخيف بأنها تدنو من لحظة خطيرة في حياتها. ومع ذلك، شعرت بالعجز عن القيام بأي خطوة. وطال الصمت... ثوانٍ... دقائق... فيما هو يفكر متأملاً في ما هو مقدم عليه، وعيناه شبه مغمضتين، رغم انهما كانتا تلتهبان وهما تنظران إلى كتفيها وملامحها الرقيقة فشعرت بوجهها يحمر خجلاً وبنار تشتعل في عروقها، لتتركها جمراً ملتهباً.

سألها بصوت أجش: «كم عمرك يا جينا؟».

فأجابت بصوت أبح وقد جف حلقها: «ست وعشرون سنة».

فقال: «أنا في الرابعة والثلاثين... الرابعة والثلاثين».

أخذ يكرر ذلك وكأن في هذا انتقاداً لتصرفه معها. وفكرت جينا في أن العمر لا علاقة له بالمشاعر. ومع ذلك هز رأسه وكأن السنوات الثماني التي تفصلهما مهمة من بعض النواحي. لم تفهم ذلك الصراع الداخلي الذي بدا على وجهه وهو يبتعد عنها متوجهاً نحو الأشجار المجاورة، ليقف محوّلاً عنها وجهه محدقاً إلى الأرض.

ثم قال: «أخبريني عن حياتك».

ومرة أخرى بدت لهجته آمرة، ولم تستطع جينا أن تعرف ما يتطلع إليه من خلال سؤاله هذا. لكن كل ما يسعها فعله هو قول الحقيقة، راجية أن ترضيه.

قالت: «نشأت في مزرعة قصب سكر، وما زال والداي يديرانها».

فسألها: «أين؟».

ـ قرب «أدمونتن» في الناحية الآخرى من «كيرنس».

فسألها: «ما اسمهما؟».

ـ فرانك وأيلينا سالڤاتوري.

فأومأ قائلاً: «سمعت بأبيك».

عندئذ، قالت: «أخي الأكبر جون وأسرته يعيشون في المزرعة أيضاً، وأخي الأصغر داني يعمل في مجال السياحة».

ـ ينظم سباق الضفادع؟

فأجابت: «نعم، من بين أمور أخرى».

فنظر إليها مستفهماً: «ليس لديك أخوات؟».

هزت رأسها وردت: «لا. نحن الثلاثة فقط».

فسألها: «إلى أيّ مدرسة ذهبت؟».

ـ مدرسة «أدمونتن» الإبتدائية، ثم مدرسة القديس يوسف في «كيرنس».

لوى فمه ساخراً: «تلميذة راهبات».

سكتت، لا تعرف كيف تفسّر هذا التعليق، فتابع أسئلته: «هل كنت تعملين قبل زواجك؟».

فأجابت: «عملت في متجر أزهار، فلطالما أحببت الزهور».

لم تكن لتعتذر لتفاهة هذه المهنة فقد كانت ترضيها.

سألها: «كم كان عمرك عندما تزوجت انجيلو ترليزي؟».

فأجابت: «اثنان وعشرون عاماً».

تمتم: «صغيرة جداً».

ـ كان ذلك مناسباً تماماً.

كانت بحاجة إلى أن تؤكد له ذلك لتظهر قرارها في مواجهة هذا الانجذاب الذي يشدّها إليه والذي يكاد يستولي عليها.

لقد أحبت انجيلو لأسباب كثيرة. ولكن ما من مبرر على الإطلاق لما تشعر به الآن نحو رجل تكاد لا تعرفه على أيّ مستوى

شخصي. ومع ذلك، لانجذابها هذا من القوة والحياة ما لا يمكن إنكاره أو تجاهله.

يفترض بها أن تلقي عليه أسئلة هي أيضاً، ولكن هل معرفتها به ستشكّل أي فرق؟ لماذا يطرح عليها كل هذه الأسئلة؟ أتراه يحاول أن يتخلص بهذا التحليل من انجذابه إليها؟

لعله يحاول أن يقنع نفسه بأنها غير مناسبة له إطلاقاً وأن ميشيلا تناسبه أكثر منها بكثير.

تحركت في داخلها كبرياء غاضبة. فهي لم تكن تطلب منه هذا، ولم تكن تطارده. هو الذي قام بكل الخطوات وأثار ما لم يكن ينبغي أن يُثار.

وتابع يقول: «هل تابعت العمل بعد الزواج».

فأجابت: «ليس في متجر الأزهار. كنت أطهي الطعام للصيادين الذين يستخدمهم أنجيلو لصيد الأسماك في أعماق البحر».

وإزاء أيّ رأي قد يبديه فيها، فكرت وقد تملكها الغضب والاستياء في أنها كانت رفيقة مساعدة لزوجها أكثر مما ستكون ميشيلا بنكس له على الإطلاق.

سألها: «هل كنت تلعبين دور المضيفة لزبائنه على المركب؟».

فأجابت متحدية: «نعم. وكنت أستمتع بذلك أيضاً، إلى أن أصبحت حاملاً وبدأت أشعر بدوار البحر. عندئذ رحت أطهي الطعام في البيت وانجيلو يأخذه إلى المركب».

أخذت تفكر في أن معظم الأعمال هي لخدمة الآخرين، حتى تصميم الأزياء فهو حسب رغبة الزبائن. لذا لا ترى أن ما كانت تقوم به أقل شأناً مما تقوم به خطيبته. صحيح أنه لا يجني مالاً كثيراً، إلا أنها لا تخجل به.

قال: «إذن، لازمت البيت منذ أنجبت ماركو».

فأجابت: «ليس تماماً».

لم تشأ أن تتذكر زمن الفراغ والعدم... الصدمة... الحزن، والعجز عن التفكير في المستقبل بعد موت انجيلو. لم يبقَ من الأسرة الكبيرة السعيدة التي حلما بها سوى ماركو، ابنها الصغير الرائع الذي كان يعزيها من ناحية، ويذكرها من ناحية أخرى بما فقدت. لم تعد تحاول التفكير في المستقبل بعد ذلك. ربما خوفاً من مجريات الأمور... فتقبل ما تحمله الأيام وتواجه ما يأتيها من فرص أكثر مما تصنعه بنفسها. وقد فتحت ايزابيلا كينغ لها باباً آخر، وقد يفتح لها بيتر أوين المزيد. ولكن، فجأة، لم يعد يبدو لها ذلك مهماً. فقد أصبح اليكس كينغ محور حياتها، ولم تعد تفكر في شيء آخر، ومع ذلك، ما زالت لا تملك فكرة حقيقية عن مكانتها بالنسبة إليه.

لعل ما تشعر به هو مجرد جنون.

قال فجأة حين سكتت: «أتعنين عملك في الغناء؟».

فأجابت ببطء: «أنا أعمل أيضاً في متجر عمتي».

كانت تدرك أن العمل هو بديل مؤقت ممتع أكثر منه مصدر رزق تعتاش منه. وتابعت تقول: «يمكنني أن آخذ ماركو معي إلى هناك».

أقرّت بهذا الوضع المناسب، نظراً لأنها أم وحيدة لا تريد أن تسلم رعاية ابنها الغالي إلى شخص آخر ولا بأي ثمن.

سألها: «ومن يرعاه هذه الليلة؟».

أدركت فجأة، أنها نسيت تماماً ما كانت على وشك القيام به قبل أن يأتي هو ويتسلم زمام الأمور.

أجابت: «روزينا، مدبرة منزل جدتك».

ووقفت مضطربة لإحساسها بأنها كانت من الأنانية بحيث أطلقت العنان لوهم غبي، بدلاً من الاهتمام بحقيقة الحياة مع ابنها.

قالت: «يجب أن أذهب لأتفقده».

فسألها: «هل هو هنا؟ في القصر؟».

والتفت إليها بدهشة، فمنعتها الحدّة في صوته من القيام بأي حركة واعتصر قلبها، ثم عاد نبضها يتسارع عندما التفت إليها بكل انتباه. أتراه رأى خطأ ما في هذا الترتيب؟ أتراها لا تستحق أن تكون ضيفة جدته؟

رفعت ذقنها بحركة غريزية، جاهزة لتحدّي أي رأي سلبي لديه: «دعتنا السيدة كينغ بكل كرم لكي نبقى الليلة في القصر خشية أن ينزعج ماركو أثناء السفر».

فسألها: «إذن، فستنامين هنا أنت أيضاً؟».

كان التوتر ينضح منه وهو يدور حولها أشبه بشبكة تضيق فتأسرها. قالت: «لقد حضّروا لي غرفة المربية في قسم الأطفال».

ثم تمنت لو أنها لم تخبره ذلك. ومع أن هذا الترتيب مناسب جداً لها ولماركو، إلا أنه بدا أقل مرتبة من غرف الضيوف.

مثل هذه الأمور الاجتماعية كانت تزعجها حقاً، فسألته بصوت متهدّج: «لماذا توجّه إليّ كل هذه الأسئلة؟ لماذا لا تقول ما في ذهنك حقاً؟ هذا ليس عدلاً».

ردّ عليها بلهجة عنيفة: «أعرف أن هذا ليس عدلاً. أردتك أن تساعديني في الخروج من ورطتي، ولكن يبدو أن عليّ أن أقرر بنفسي».

بدّد هذا كل ما كانت تشعر به من ازدراء.

فقالت: «على الأقل أنت محظوظ لأنك تملك حرية الاختيار. بينما أنا ما من خيار أمامي. ولكن لا بأس، يمكنني أن أتدبر أمري».

حاولت أن تختفي من أمامه وتتخلّص من سحره، فتراجعت خطوة إلى الخلف، لترغم نفسها على الابتعاد عن حضوره المسيطر، وتمنح نفسها انسحاباً كريماً.

فهتف: «لا».

وأمسك برسغها بقوة جعلتها تفقد توازنها، وعاد يديرها نحوه، ثم أرخى قبضته لكي يحيطها بذراعيه بشدة، فاندفعت يديها على صدره بحركة غريزية لإبعاده.

وصرخت: «لا تعبث معي!».

رفعت بصرها إليه تحتجّ بعذاب لاستغلاله المتعسف، فنظر إليها بعينين ملتهبتين: «أتشعرين بأنني أعبث؟ هل شعرت في باحة الرقص أنني أعبث؟».

ضعفت مقاومتها على الفور، ولم تستطع أن تمنع تدفق عنف مشاعره في دمائها هي، فاستعرت النيران في عروقها كما في الهشيم. أرادت أن يستمر في معانقتها وألاّ يفلتها، ولكن عناقه هذا أيقظ فيها عذاباً مراً وصراعاً محتدماً.

شدّها إليه بإحدى يديه، بينما رفع الثانية ليلمس وجهها، ويزيح بأنامله شعرها عن جبينها، ثم ينزلها على خدها، لامساً ذقنها بخفة. وشعرت جينا بأنها أشبه بالمخدّرة ولم تستطع أن تفكر، فيما تبدد من ذهنها التحدي الذي صدر عنها، لتحل مكانه المشاعر المحمومة...

كان يتنفس بعنف. وهو يتمتم: «لا بد أن أفعل هذا».

كانت كلماته الخافتة مثقلة بالأحاسيس التي وجدت لها صدى في خفقات قلبها المرتعد.

كان عناقهما قوياً فجر مشاعر محمومة مكبوتة طويلاً. وأحيا داخلهما أحاسيس لم يعهدا مثلها من قبل.

بدا الأمر جديداً عليها وكأنها لم تتزوج يوماً ولم تعرف رجلاً غيره. وراح قلبها يخفق بشدة وكيانها يهتزّ فرحاً لهذه المشاعر التي اعترتها.

ابتعد أليكس قليلاً عنها، محاولاً أن يستجمع شتات نفسه، وقال

بخشونة: «صدقيني... هذا ليس عبثاً، يا جينا... ولكن يجب أن يتوقف... لأنك على حق... هذا ليس عدلاً».

لم يستطع عقل جينا استيعاب تلك الكلمات لقوة المشاعر التي تملكتها ولم تفهم ما قاله إلا بعد أن ابتعد عنها فسقطت يداها من حول عنقه.

يتوقّف؟

ليس عدلاً؟

تركها وسقطت ذراعاه إلى جانبيه وهو يتراجع خطوة إلى الخلف ناظراً إليها باهتمام بالغ وهي تترنح في وقفتها. والدوار ما زال يتملكها لعنف المشاعر التي لم تهدأ بعد. لفت ذراعيها حولها بحركة غريزية وابتدأت ترتجف، وراح الإحساس بالخسارة يزداد شيئاً فشيئاً. نظرت إليه غير مصدّقة وعاجزة عن فهم سبب ابتعاده عنها.

شعرت وكأن كل ما في داخلها يدور في دائرة مفرغة، لأن تلك اللحظات التي تمنت أن تطول انتهت بلمحة بصر.

لم تعرف ما الذي رآه في عينيها... هل هو جرح الرفض؟ القلب المحطم؟ الحقيقة التي لم يشأ مواجهتها؟

قطب حاجبيه بألم، والتوى فمه ضيقاً: «أنا آسف».

آسف...

كان هذا لا يطاق.

فورة عنيفة من الكبرياء مدّتها بقوة جعلتها تستدير وتبتعد عنه. عواطفها أعمت بصيرتها في البداية ولكنها عادت إلى رشدها سريعاً. عليها أن تبتعد عنه. كان مدخل القصر أمامها مباشرة فركزت نظراتها عليه.

وتسلل ماركو إلى ذهنها المرهف.

كان ماركو حقيقياً.

ابنها الصغير أحبها من دون شروط.

فهناك فرق كبير.. فرق ضخم... بين الحقيقة والوهم. ومن الأفضل أن تكون مع ماركو.

* * *

٧ ـ مكاسب اللعبة

شعرت ميشيلا بفيض من البهجة عندما ربّت بيتر أوين على كتف مراقصها وهو يرفع حاجبه بمكر قائلاً: «حان دوري، يا فتاي العزيز، نبيننا صداقة قديمة».

لم تستطع أن تمنع نفسها من الضحك. الصداقة كانت حميمة أكثر منها قديمة، فقالت تطمئن الشاب الذي يراقصها: «لا بأس، يا كريس، شكراً لأنك رقصت معي».

فردّ هذا بابتسامة عريضة: «بكل سرور في أي وقت».

وهذا ما على أليكس أن يقوله لها بدلاً من أن يدور في أنحاء القاعة مع (مغنّيته). ومع ذلك بإمكان بيتر الحبيب أن يخفف من انزعاجها لما أبداه أليكس من استخفاف حيالها. وألقت عليه نظرة مشحونة بما استطاعته من إغراء وهو يأخذها بين ذراعيه. وتبع جسمه الطويل الرشيق الإيقاع على الفور. كان حتماً أكثر من رقصت معهم جاذبية...

قال لها ساخراً: «هل هجرك خطيبك الغالي، يا حلوتي؟».

فردت بحدة: «إنه يراقص زميلتك».

قال: «إنها فنانة تبشر بالخير. وأظنها... من النوع الذي يصلح للزواج. عليك أن تنتبهي إلى ذلك، يا حبيبتي، يبدو أن اليكس

www.liromancia.com

منجذب جداً إليها».

فردّت: «أنا هي الأقوى يا بيتر».

تنهد وهو ينظر إلى جمال قوامها، ثم قال: «من المؤسف أنك في اليد الخطأ، تعلمين أنني أقدّرك أكثر منه. ما رأيك لو نخرج معاً ونتنزه في الطبيعة؟».

فضحكت وأجابت: «تلك مغامرة كبرى».

فقال وهو يغمز بعينه يغريها: «آه، لكنها مغامرة لذيذة».

قالت رغم أن عينيها غازلتاه لما حملته كلماته: «الأمر لا يستحق ذلك، يا بيتر».

فاستفزها ضاحكاً ليحصل على ما يريده: «لقد خرج مع جينا. هيا ردّي له الكيل كيلين».

ـ أشك في أنهما ابتعدا حتى الدغل.

فقال: «كم هو مملّ بالنسبة إليك! ولكن لعله رافقها إلى غرفة النوم، فجينا أرادت أن تطمئن إلى ابنها، ويبدو أن ايزابيلا دعتهما لقضاء الليلة في القصر».

فتملكها الغضب وردت: «يا للساحرة العجوز. إنها تحاول زرع الفتن بيني وبين أليكس».

عندئذ، قال مبتهجاً بإثارتها: «لا شك أنه منحنٍ الآن فوق سرير الصبي الصغير، متأثر بحلاوة الطفل النائم وبراءته ويفكر في أول طفل سيرزق به».

فقاطعته: «إخرس يا بيتر!».

قال بابتسامة شيطانية: «بينما نحن نرقص هنا، يا حبيبتي».

وأمسك بيدها يقودها إلى قاعة الرقص. كان خفيفاً نشيطاً في حركاته فابتهجت لإيجاد من يجاريها في الرقص. وتذكرت كم تفتقد لمثل هذا النوع من المرح. ومع بيتر طبعاً لا شيء يؤخذ على محمل

الجد. ولكن هذا ما كان يسحرها فيه، مرح من دون أي ارتباط.

توقفا عند طرف خشبة المسرح في قاعة الرقص، ثم جذبها إلى ناحية باب الخروج الجانبي، هامساً في أذنها: «دعينا نخطف شيئاً للذكرى قبل أن تضع أسرة كينغ حبل المشنقة حول عنقك الجميل».

لم يكن من الحكمة أن تذهب معه.

لكنها ذهبت.

* * *

كان اليكس يعلم أن عليه أن يعود إلى قاعة الرقص، ولو من أجل المظاهر، فستجنّ ميشيلا لغيابه الطويل هذا. ولم يشأ أن تشيع أي أقاويل خبيثة بسبب خروجه مع جينا، إذ ليس من العدل أبداً أن يلطخ سمعتها.

ومع ذلك، لم يستطع أن يحمل نفسه على العودة إلى الحفلة. لم يستطع احتمال فكرة الاضطرار إلى مجاراة الأحاديث التافهة. كان يشعر بضيق بالغ لما يحسّ به نحو جينا. كان الانضباط الذي فرضه على نفسه ما زال يؤلمه وبدا وكأن كل عضلة في جسمه تؤلمه. أحسن ما يمكن أن يفعله للتخلص من ضيقه هو المشي. على أيّ حال كان بحاجة إلى وقت يفكر فيه، فسار على غير هدى.

* * *

قال بيتر بخبث: «يا له من ثوب رائع ترتدينه!».

وترك يدها ليحيط خصرها بذراعه، فقالت تعنفه: «كفى».

كان بيتر بارعاً مع النساء وراحت هي تستمتع سراً بتغذية انجذابه إليها،

كان الفناء خالياً، فالذين يريدون أن يدخّنوا أو يتنشقوا الهواء

يختارون التوجه إلى النافورة في الجانب الآخر من قاعة الرقص.

قادها بيتر إلى سياج من الأشجار الكثيفة الأوراق حيث وجدا مقعداً خشبياً وهو يقول: «ماذا لو استعدنا الأيام الماضية وتذكرنا حرارة العناق الذي كان يجمعنا؟ السياج يخفينا ويمكنك أن تراقبي من فوق كتفي أي شخص يخرج من قاعة الرقص، بينما نستمتع بفترة صغيرة حلوة من...».

قالت: «أنت حقاً حالة ميؤوس منها يا بيتر».

فقال: «هممم... الأعراس تذكّرني بك».

ـ لا أحتاجك لسماع الإطراء لأن اليكس ماهر جداً في ذلك.

قالت هذا باحتجاج، لكنها وقفت حيث اقترح عليها واستندت إلى ظهر المقعد الخشبي، وقال وهو يداعب وجهها وشعرها وعنقها: «لا شيء أجمل من لحظات خيانة بريئة تسرق خفية. أليس كذلك؟».

وضمّها إليه بقوة.

قالت: «أظن أنه ما كان لي أن أفعل هذا».

فقال: «اهدئي وتحدثي إليّ. فأنا أحب هذا».

ثم ابتسم بخبث وهو يمدّ يده تحت شعرها الجميل: «لا أدري لماذا أرهقت نفسك باليكس كينغ. إنه رجل محترم جداً».

ـ هذه هي المشكلة معك، يا بيتر. فأنت غير محترم إطلاقاً. لا أستطيع أن أعتمد عليك في أي مساندة أحتاجها».

فقال: «وهل نحن نتحدث عن المال هنا؟».

ـ اليكس يملك ثروة كبيرة. كما أن لأسرته مركزاً اجتماعياً يرفع من مستواي كمصممة أزياء، وهذه أمور لا يمكنك أن تمنحني إياها، يا حبيبي.

فقال: «ولكن يمكنني أن أمنحك الأحاسيس».

* * *

لم يعرف اليكس كيف يمضي حفلة العرس التي بدت له أشبه بالعذاب. وحاول الاحتفاظ بمظهر لطيف وبشوش إزاء ابتهاج ميشيلا. ولكن ما إن انطلقت سيارة العروسين إلى شهر العسل حتى أرغم تلك التي سرعان ما ستصبح خطيبته السابقة، على السير معه إلى سيارته.

قالت باحتجاج: «لم تنته الحفلة بعد».

فرد باختصار: «نحن سنرحل».

صرخت ساخطة: «ماذا حدث لك يا أليكس؟ لم يكن يبدو عليك المرح طوال السهرة. هل أنت مريض أو ما شابه؟».

فأجاب: «نعم. أنا كذلك».

ـ حسناً، كان عليك أن تخبرني.

فقال: «إنني أخبرك الآن».

بدا عليها الضيق البالغ لانتهاء هذه السهرة السارة. وكبت اليكس الغضب في داخله إلى أن جلس الإثنان في سيارته (الجاغوار) التي تعكس ثراءه. اتجها إلى شقة ميشيلا التي لم تكن تبعد سوى دقائق قليلة عن منزله، وبقي صامتاً كيلا يتحوّل انتباهه عن الطريق.

قالت: «ما دمت تشعر أنك لست بخير، فلا أظنك ستصعد لاحتساء فنجان قهوة معي».

فقال بحدة وهو يوقف سيارته أمام شقتها: «لا. لن أصعد هذه الليلة، ولا أي في ليلة أخرى».

نظرت إليه بحدة وسألته: «وما معنى هذا؟».

فأجاب: «يعني أنني فسخت خطبتنا».

وأطفأ محرك السيارة والتفت إليها بعينين بالغتي البرودة.

ـ وهذا، يا ميشيلا، يعني أننا لن نتزوج فنحن غير متلائمين في الحقيقة.

انفجرت تقول، ساخطة لإعلانه الصريح هذا: «وما الذي جعلك تقرر هذا فجأة؟».

فأجاب: «أشياء عدة. ولكن عليّ أن أعترف أن لقاءك الحميم مع بيتر أوين الليلة توّج هذا القرار. لا سيّما أنني سمعت ما يعجبك فيّ كزوج».

فغرت فاها لحظة، لكنها سرعان ما تمالكت نفسها، رغم أنها قالت باضطراب: «كان ذلك مجرد حديث أحمق، يا أليكس. وبيتر رجل سطحي للغاية، ولا فائدة من الحديث معه عن المشاعر».

ثم مدّت يدها إليه وأضافت: «أنت تعلم أنني أحبك».

أمسك بيدها وأعادها إلى حجرها بازدراء قائلاً: «كنت أتمشى قرب القصر. وسمعت أصواتاً تخترق جو الليل الهادىء يا ميشيلا ولأنني لم أشأ أن أتسبب بفضيحة لك، تركتك بين ذراعي بيتر، وعدت أدراجي».

رفعت رأسها تحدياً عندما وجدت أنّ الإنكار أصبح من دون جدوى، وقالت: «أنا وبيتر كنّا عاشقين قبل أن أعرفك يا أليكس. ولم يعد بيننا أيّ علاقة منذ عرفتك ولن يكون. الأمر مجرد...».

قاطعها: «استعادة الذكريات الماضية؟ وداع محبة؟».

فردت بحدة: «كان لقاءً بريئاً».

هز رأسه وقال: «أشبه بأي وقت من الخيانة يُسرق بين الحين والآخر، كلما شعرتما بحاجة إلى ذلك. لا، هذا ليس بالزواج الذي أريده، يا ميشيلا، الأفضل أن يذهب كل منا في طريقه».

فقالت ساخرة: «لماذا؟ لكي تذهب إلى جينا ترليزي من دون أن يؤنبك ضميرك؟».

لم يكن هذا بعيداً عن الحقيقة، وسكوته العابس أعطى ميشيلا ذخيرة لنيران الغضب مرة أخرى، فأضافت: «لا تكن غبياً يا أليكس،

إنها نزوة أشبعها ودعنا نرتاح».

التفت إليها بعنف وقال: «وهذا سيعطيك عذراً لزلتك، أليس كذلك؟».

أغضبه عدم اهتمامها بأي حس بالشرف أو الكرامة.

قالت: «آه بحق الله دع عنك هذا. فالأمر أشبه بطعام تتذوقه. وعندما تشبع منه، تتركه إلى أن تعرف ما يناسبك فتعتمده على الدوام. المسألة هي رؤية الأمور بأبعادها الصحيحة».

ـ شكراً على وجهة نظرك هذه. كل ما في الأمر هو انني لا أشاركك إياها.

قال ذلك كابحاً غضبه. فموقفها هذا أعفاه من كل اهتمام بشعورها وجعل ابتعاده عنها أسهل.

قالت له بحدة: «أنا، على الأقل، صادقة. ما فعلته مع بيتر أصبح من الماضي. لكنك ما زلت تحوم حول المغنية، أليس كذلك؟ لا شيء كالإحباط يشوش الذهن... وأظن أن هذا ما كنت تحاول التخلص منه بالمشي، والآن أنت غاضب لأنني فعلت ما أردت أنت أن تفعله».

حدّقت إليه باستهزاء، واثقة من افتراضها هذا. لكنها مخطئة فهو ما كان ليستغل جينا ترليزي بهذا الشكل... أبداً.

فك حزام مقعده، ونزل من السيارة ودار حولها ليفتح لها الباب، فقالت وقد تملكها الغضب لتصرفه هذا: «لن أخرج من السيارة ما لم ننتهِ من مناقشة هذا الأمر».

فردّ لئلا يفسح لها مجالاً للمناورات لتغيّر الوضع بينهما: «لكننا انتهينا منه وليس لدي ما أقوله أكثر من ذلك».

حدقت إليه متحدية بصلابة... ولكن ما من شيء سيزحزحه عن موقفه.

وبآهة كئيبة، فكت حزام مقعدها، ثم نزلت ومرت بجانبه شامخة الرأس، ربما لتذكره بجاذبيتها.

ثم قالت بصوت خافت أبح: «ستفكر في هذا الأمر بشكل أفضل، يا أليكس. ولهذا لن أعيد اليك خاتمك».

عندئذ، قال بعدم اهتمام: «احتفظي به. اعتبريه من مكاسب اللعبة. ولكن إياك أن تظني لحظة واحدة أن اللعبة لم تنته بعد. فقد انتهت».

وأقفل باب سيارته ليحسم الأمر.

فقالت: «الكبرياء شريك سيء، يا أليكس».

ـ الاعتياد عليه أسهل بكثير من اعتيادي على أمثال بيتر أوين.

وأشار إلى شقتها قائلاً: «هل تريدين أن أرافقك إلى بابك؟».

فابتسمت له ساخرة: «لا. أظنني أنا التي سأودّعك. من يعلم؟ ربما تغيّر رأيك في منتصف الطريق».

هي التي اختارت أن ترفض تهذيبه هذا، فلم يناقشها بهذا الشأن. وأومأ قائلاً ببرودة: «وداعاً».

ثم عاد إلى سيارته، مخرجاً ميشيلا بنكس من حياته في منتصف الطريق. ولم يلق حتى نظرة واحدة إلى الوراء. لم يكن واعياً إلى أنه يتجه بسيارته إلى جينا ترليزي، فقد صادف أنها ضيفة في القصر الليلة.

بل كان، بكل بساطة، عائداً إلى بيته.

* * *

٨ ـ البداية أو النهاية؟

استيقظت جينا فجأة على صراخ ماركو، فقفزت من السرير وهي تترنح من النعاس، وإذا بها، ترى نفسها في محيط غريب عنها. استغرق منها استعادة وعيها لحظات عدة، فتذكرت أين هي.... في غرفة المربية في «قصر كينغ»، وماركو في غرفة الأولاد المجاورة.

همت بالسير إليه، ثم توقفت بعد أن أدركت أن الصمت ساد من جديد. لا بد أن ماركو صرخ في نومه. أهو حلم مزعج؟ ولكن بما أنها استيقظت الآن، فستذهب لتطمئن عليه في مطلق الأحوال.

ترددت وهي تسمع تمتمة رقيقة. هل هناك شخص آخر يهتم به؟ أتراه كان يبكي مدة قبل أن تستيقظ؟ لم تكن غرفة روزيتا بعيدة. عبست وهي تفكر في أن البكاء أزعج مدبرة المنزل الطيبة من نومها، فتناولت عباءتها ولبستها. الأفضل أن تجلس مع ابنها برهة وتعفي روزيتا من أي مسؤولية نحوه.

كانت ترتدي قميصاً حريرياً ناعماً احتفظت به من جهاز زفافها، وهو أثمن من أن ترتديه في الأيام العادية. وعلى الرغم من أن إحضاره معها أمر أحمق إلاّ أنها رأت في قضاء ليلة في قصر كينغ مبرراً كافياً لارتدائه

كما أن اليكس كينغ جعلها تشعر بأنها عادت امرأة مرة أخرى،

وليس أماً فقط. جعلها تشعر بذلك عندما عانقها. ويا ليته لم يفعل! فقد بعث ذلك الاضطراب داخلها وكان من الأفضل ألا تشعر بشيء حيال هذا الرجل إذا لم يكن يبادلها الشعور. لفت العباءة عليها وهي تعنّف نفسها لاستغراقها في أحلام لا تمت إلى واقع الحياة بصلة.

أليكس كينغ ليس لها.

وكانت تعرف ذلك على الدوام.

إنها امرأة نافهة في السادسة والعشرين من العمر ولديها طفل من رجل آخر، وهو مخطوب لمصممة أزياء رائعة، أنيقة، خبيرة بحياة الطبقة العليا المترفة. وهي إن لبست الحرير والدانتيل فلن تتغيّر ولن يتبدّل الواقع.

استترت بتلك العباءة التي لا تمت إلى الأمومة بصلة، وحاولت أن تطرد من ذهنها التعاسة التي تملكتها، وهي تدخل غرفة الأولاد. وإذ كانت تتوقع أن ترى روزيتا، صُعقت وهي ترى ابنها في أحضان الرجل نفسه الذي سبب لها حرقة القلب هذه.

وقفت عند العتبة إلى أن تبدّدت الصدمة. كان اليكس كينغ قد أدار رأسه ناحية الطفل الذي بين ذراعيه. وبدا ماركو مستكيناً إليه وقد هدأ من بعد بكاء وأخذ يستسلم إلى النوم بهذه الهدهدة.

لم تفهم شيئاً من المشهد الذي رأته. كان اليكس لا يزال في ملابس العشاء الرسمية، وأغطية سرير ماركو أزيحت إلى أسفل، ما الذي حدث؟ ولماذا اليكس هنا مع ابنها وليس مع خطيبته؟ كم هي الساعة الآن؟

نظرت إلى ساعة الحائط فوجدت أنها تشير إلى الواحدة والنصف. كان من المفروض أن تنتهي الحفلة عند منتصف الليل، والقصر وما حوله يسودهما هدوء تام. لا بد أن أليكس أخذ خطيبته إلى بيتها، ثم عاد. لكن هذا لا يفسر وجوده في غرفة الأطفال. ربما

سمع بكاء ماركو وهو يصعد السلم إلى غرفته؟ ولكن ألم تغلق هي الباب المؤدي إلى الممر؟ إنه مفتوح الآن.

وبحيرة بالغة، أخذت تنظر إليه وهو يضع الطفل في سريره ثم يغطيه بحذر. ثم نظر إليه لحظة، قبل أن ينحني ليطبع قبلة على جبينه.

كان تصرّفه أبوياً حنوناً فشعرت جينا معه بقلبها يخفق. لو كان أنجيلو حياً لفعل الشيء نفسه. ليس من العدل أن يبدي اليكس كل هذا الاهتمام الأبوي بابنها فيذكرها بترمّلها العقيم الموحش.

ابتعد عن السرير والجد بادٍ على وجهه، واتجه إلى الباب المؤدي إلى الممر، وعندما لمح جينا بزاوية عينه، انتفض فجأة ثم جمد في مكانه.

أخذ جسمها يرتجف على الفور. ومن حسن الحظ أنها ما زالت واقفة عند العتبة. بدا وكأنها حوصرت بزلزال ولم يعد من مجال للهرب. ما كان لها أن تبقى وتراقبه بهذا الشكل، فهذه حماقة خطيرة.

راح ينظر إليها. وبدا الجو بينهما مشحوناً بتيار غريب لم يستطيعا الإفلات منه.

لم تعرف كم من الوقت لبثا صامتين هكذا. لاحظت أن ربطة عنقه محلولة وأزرار قميصه العليا مفكوكة، ولا بد أنه لاحظ، هو أيضاً، تشعث شعرها من النوم وملابسها الخفيفة.

تقدّم نحوها خطوة، ثم وقف ينظر خلفه ليطمئن إلى أن ماركو ما زال نائماً بسلام، ثم عادت نظراته إليها بسرعة. لم تبارح مكانها ولا فكرت في ذلك. كان من حقها، بصفتها ام ماركو، أن تكون هنا. وجود اليكس كينغ هو الذي يجب تفسيره.

يبدو أنه فكر هو أيضاً في ذلك، إذ اقترب منها هامساً: «آسف

لأنه أيقظك، أظنه على ما يرام الآن».

ردّت عليه هامسة وقد تغلب اهتمام الأمومة فيها على النيران التي استعرت في داخلها لوجوده بقربها: «ماذا حدث له؟».

عبس معتذراً: «عندما وصلت، لم أر سوى كتلة في الناحية السفلى من السرير. كان تحت الأغطية فخفت أن يختنق».

فقالت: «لا بأس، إنه يفعل ذلك أحياناً».

ـ فكرت في أن أطمئن إلى تنفسه ثم أرفعه إلى الوسادة ولم أكن اقصد ازعاجه إلى حد البكاء.

ابتسمت ساخرة: «حسناً، أنت قمت بعمل جيد جعله يعود إلى النوم».

رد على ابتسامتها بابتسامة ملتوية: «إنه، على الأقل، لم يمانع في عنايتي به. ربما ما زال يتذكرني من الاسبوع الماضي».

كان الأمر أكثر من ذلك حسبما رأت جينا، فقد اطمأن إليه ماركو بالغريزة، مثلها تماماً. وفجأة اعتصر الألم قلبها لما حدث بينهما في بداية الليل.

وصرخت بصوت أعلى مما كانت تقصد: «لماذا أنت هنا؟».

فقال وقد عاد ينظر إلى ماركو مقطب الجبين: «صه...».

اقترب منها يقودها عائداً إلى غرفتها، ثم لحق بها، دافعاً الباب خلفه قليلاً لكي يتمكنا من سماع أي صرخة تصدر عن ابنها. استندت إلى الجدار بجانب الباب واقترب منها إلى حد جعل قلبها يخفق. ثم أمسك كتفيها بيديه الحارقتين، فحدقت إلى عنقه، خائفة من أن تنظر إلى وجهه الرائع، وإلى عينيه اللتين قد تلحظا ارتجافها.

قال ضارعاً بصوت خافت مشحون بأحاسيس عجزت عن فهمها:

ـ لا أظنك ستفهمينني، لكنني أردت فقط أن انظر إليه.

فسألته وهي تهز رأسها: «وماذا يعني لك؟».

تنفس بعمق وهو يجيب: «كنت أفكر... كيف سيكون شعوري... لو كان لي ابن».

هل هو فضول؟ شوق؟ ورفعت بصرها إليه لترى بالضبط ما يعنيه، فرفع يده يلامس خدها، بينما عيناه في عينيها تثيران في نفسها شوقاً خفياً.

قال: «إنه طفل رائع الجمال... كأمه».

كان مخطئاً، لأن ماركو أكثر شبهاً بأبيه. لكنها لم توضح له ذلك، فقد أعجبها أنه رآها رائعة الجمال. كان حلقها جافاً جداً، ما جعل من الصعب عليها أن تتكلم بما يمليه عليها حسها بالحق، وهي تقول: «ما كان عليك أن تقول لي هذه الأشياء».

ـ لِمَ لا؟ إنها الحقيقة؟

فأرغمت نفسها على القول: «وماذا عن ميشيلا؟».

فأجاب: «إنسي أمر ميشيلا. أنت هي التي تهمّني».

أنت التي تهمّني... أنت التي تهمّني... أخذت هذه الكلمات تقرع في قلبها كقرع طبل لا يخمد، واستحال عليها أن تسلخ عينيها عن ذلك اللمعان المتألق في عينيه... وأن تتجاهل المشاعر التي تدفقت في دمها كسيل جارف. كانت مشاعرها من القوة بحيث لم تعد تفكر في أي شيء آخر. نسيت أمر ميشيلا، وراحت تتمنى أن يقترب منها لترتمي في أحضانه.

وكأنه قرأ أفكارها، أو شعر بالحاجة نفسها، إذ دنا منها وطوّق عنقها بذراعيه القويتين، فتفجر شوق الواحد منهما إلى الآخر وتبخّر العالم من حولهما ليغرقا في بحر من المشاعر.

انزلقت يده كالحرير على كتفيها، وعنقهاوقد تملكه شعور لا يُصدّق. وأخذت جينا تلامس بالرقة نفسها عضلاته وكتفيه، وقد

شعرت ببهجة لم يسبق لها أن اختبرتها... راح نبضها يخفق وضربات قلبها تتسارع. قوة هذه اللمسات أضعفتها وأوهنتها فأحست بأنها ستسقط على الأرض لو أفلتها. شعرت بين ذراعيه وكأنها تمتلك العالم كلّه في شخصه هو، ونسيت معه كل لحظة عذاب عاشتها. وكأن حياة جديدة ولدت فيها الآن، في هذه اللحظة.

تملك جينا الذهول التام لمشاعر كثيرة لم تعرفها قبل أن تلتقي أليكس... أليكس كينغ! هذا الرجل الحنون بين ذراعيها. نعم... كان شعورهما متبادلاً. ولكن لم يكن في حسبان أي منهما أن يلتقيا في منتصف الليل، وأن يرتمي أحدهما بين ذراعي الآخر. لم تندم جينا على استسلامها لمشاعرها وتشبثها بأليكس. ما أغرب هذا... حتى حبها لأنجيلو لم يجلب لها مثل هذه السعادة المدمرة ولا هذه المشاعر المحمومة.

اليكس كينغ...

اليكس... وتعلق ذهنها باسمه، فأخذت تكرره بصمت وكأنه ينطوي على سحر ما.

أتراه يتساءل كيف حدث ذلك؟

أم تراه يتذكر ميشيلا؟

(إنسي أمر ميشيلا)!

ويا للعنف الذي لفظ به تلك الكلمات!

وكانت قد نسيت أمرها فعلاً في لهب لقائهما معاً.

كما لم تشعر بالذنب لما حدث. صحيح أن اليكس ليس زوج ميشيلا، ولكن ما جرى بينهما يعتبر خيانة، بحقها.

أتراه ندم على ذلك؟ أو شعر بالذنب؟

ما الذي يعنيه عناقهما هذه الليلة بالنسبة إليه؟ هل هو مجرد نزوة

وسيعود بعدها إلى ميشيلا؟

أخذ قلب جينا يخفق بقلق. ها هي الآن بين ذراعيه في الظلام، وما زالت الأحاسيس تعتمل داخلها بشكل لم تعرفه من قبل... ولم تستطع أن تصدق أن هذا كله لن يعود له معنى بعد هذه الليلة. وجاءها صوته: «جينا...».

بدا اسمها على شفتيه ناعماً كالمخمل... رقيقاً كهديل الحمائم، فأرسل رعشة في كيانها. وضع يده على يدها شابكاً أصابعه بأصابعها، فانتفض نبضها على الفور. لا يمكن أن يكون في نيته الانفصال عنها، ليس الآن. تابع يقول ببطء، رافعاً يدها إلى فمه وكأنه يتذوق الأنوثة فيها: «لن أقول إنني نادم. فأنا لست نادماً على الإطلاق. أخبريني أنك أنت أيضاً لست نادمة، يا جينا».

فأجابت بصدق: «أنا لست نادمة يا أليكس».

تنفس الصعداء بارتياح بالغ، ثم قال: «هذا ما كنت أتمناه».

كاد كلامه يعصف بعقلها. من كان يتوقع أن يلتقيا الليلة... هنا... في قصره؟ وأن يشعر أحدهما بالآخر، غير عابىء بالعالم وبأي شيء آخر. ومن كان يظن أنه سيفسخ خطوبته بهذه السرعة؟ أترى لجينا يد في الموضوع، أم أنه اكتشف عيوب خطيبته كلها في ليلة واحدة؟

قطعت عليه حبل أفكاره وقالت بصوت خافت: «لم أكن أتوقع...».

فقاطعها: «ولا أنا».

واعتصر يدها في يده.

ـ ولكن لا يمكنني القول إنني لم أكن أفكر بك، طيلة الأمسية...

وتنهد مجدداً.

فاعترفت بسرعة وقالت: «وأنا أيضاً فكرت فيك».

لم تجد من الإنكار جدوى.

ترك يدها ليداعب خصلات شعرها وهو ينظر إليها مباشرة. وتقابلت نظراتهما. كانت تعلم أنها لا يمكنها أن تختبىء من هذا الوضع، وأرادت أن تعرف ما في ذهنه. لم تستطع أن تقرأ في الظلام أي تعبير من تعابير وجهه، ولكن لم يكن هناك ما تقرأه سوى مجرد تأمل رقيق.

بدا مسروراً جداً، وهي كذلك لو أن ذلك السؤال لم يعد ليعذبها (أين هي ميشيلا؟).

ألا يفكر في خطيبته على الإطلاق؟

تصارعت في ذهنها الرغبة في أن تترك الموضوع عند هذا الحد والرغبة في سؤاله. في السهرة قال لها إن عناقهما ليس عدلاً، فهل أصبح عدلاً الآن إزاء مشاعرهما؟

ومرة أخرى، صرف ذهنها عن التفكير في ميشيلا بنكس. تمتم يقول: «أنت جذابة إلى حد يسبب الإدمان عليك... كل جزء فيك رائع تماماً».

ورغم أن جينا تعلم أن هذا غير صحيح، إلاّ أنها سرّت بسماعه منه فلم تشأ أن تظهر له أياً من عيوبها. وكان رائعاً أن تستمتع بالإحساس بأنها مرغوبة...

بقيا صامتين متعانقين إذ لم تكن الكلمات تعبر عما يشعران به. وبدا أن بينهما فيضاً مستمراً من المشاعر قد تفسده الكلمات، لأنها لا يمكن أن تعبّر حقاً عن هذا النوع من المشاركة.

كان عناقهما مزيجاً قوي التأثير من الرهبة والحنان والمشاعر المحمومة.

هل هذه هي النهاية أم البداية؟

لم يفكر أحد منهما في طرح هذا السؤال.

والزمن وحده سيحسم الأمر.

* * *

www.elromancia.com

١٠ ـ أسرارهم من صغارهم

ـ ماما؟

همس ماركو ولمس ذراع أمه فأجفلت جينا على الفور، ونظرت مباشرة إلى العينين الكبيرتين المتسائلتين المعبّرتين. كانت غارقة بين ذراعي أليكس بحيث لم تنتبه إلى أن ابنها استيقظ مجدداً، ليجد رجلاً غريباً يحتضن أمه في غرفتها.

همست بسرعة: «عد إلى غرفتك وستأتي إليك ماما بعد دقيقة».

أومأ كارهاً، وفضوله يزداد، وحمدت الله لأنه أطاعها من دون جدال. لم يكن لديها فكرة عن الجواب الذي عليها أن تعطيه، وشعرت أنها بحاجة إلى وقت تفكر فيه، لكن لم يكن أمامها أي وقت. كيف لها أن تفسّر لابنها ما رآه؟

وراحت تفكر في أن الوضع محرج بالنسبة إلى أليكس أيضاً، فهو لا يزال مخطوباً. ماذا لو زل لسان ماركو أمام أحدهم وفُسرت الأمور على غير حقيقتها؟

قالت لأليكس إنها سترى ابنها ومن ثم توافيه إلى الطابق السفلي. احتج في البداية لكنه أذعن لاصرارها وخرج من الغرفة.

لقد نسي سترته هنا. عليها أن تلحق به ولكن ليس أمامها متسع من الوقت. ستعطيه إيّاها لاحقاً.

بدّلت ملابسها وارتدت قميصاً أزرق مزيّن بالفراشات وتنورة زهرية وحذاءً جلدياً خفيفاً. بدت أشبه بلصّة وهي تجول في أنحاء الغرفة بصمت تجمع أغراضها. ولكن لم يكن أمامها حل آخر. لقد اتخذت قرارها وسوف ترحل من دون أن يعلم أليكس.

كانت حاجتها إلى العودة مع ابنها إلى بيتها عاجلة وملحة. لم تشأ أن تورّط أليكس بالمشاكل. وإذا كان عناقهما صادقاً وحقيقياً فسيعود إليها من دون شك، وإلاّ...

خرجت من الغرفة، وأغلقت الباب على أجمل ذكريات عاشتها وأروع أحاسيس شعرت بها. أتراه سيعود إليها أو... وهزت رأسها... لم يعد ذهنها يحتمل أيّ تكهنات للمستقبل.

إذا كان اليكس يريدها، فيمكنه أن يسأل جدته عن عنوان بيتها. فالرجل يلاحق دوماً المرأة التي يرغب فيها حقاً. ظهوره على عتبة بيتها أو عدم ظهوره سرعان ما سيخبرها بمكانتها لديه. ومن الأفضل الآن أن تركز اهتمامها على رعاية ابنها.

كان ماركو جالساً على سريره، منتظراً بصبر أن تأذن له بالكلام، وقد امتلأت عيناه البنيتان الكبيرتان بالاهتمام. ابتسمت جينا بحرارة تطمئنه وهي تدخل الغرفة وتضع حقيبتها على السرير بجانبه.

سألته برقة: «هل ذهبت إلى الحمام؟».

فأومأ إيجاباً، فقالت: «ارتد ثيابك إذن».

وأخرجت من الحقيبة ملابسه النظيفة وقالت: «هل يمكنك أن ترتدي ملابسك ريثما أذهب إلى الحمام؟».

فقال: «طبعاً. ولكن، يا ماما...».

ـ صه... يا ماركو. سنتحدث في الطابق السفلي.

عبس. ولكنه راح يخلع ثياب النوم حسب تعليماتها بينما أسرعت جينا إلى الحمام لكي تبدو بمظهر لائق بأسرع ما يمكن.

ورغم أن الوقت باكر، واليوم أحد، إلا أن البعض من دون شك سيكون مستيقظاً في القصر وهي لن تستطيع الرحيل من دون أن تترك كلمة شكر لإيزابيلا كينغ. مثل هذه الضيافة الكريمة تستلزم مقابلتها بالشكر المهذب.

ومع ذلك، هي لا تريد أن تخوض في أي حديث طويل، لا تريد أن تعرض نفسها لأي وضع مربك، خصوصاً أمام ماركو. كفى سوءاً ما رآه، فإذا ما أفشى الحقيقة من دون قصد لإيزابيلا كينغ... وأخذت تدعو الله بذعر ليتستر عليهما.

كانت الساعة السابعة عندما قادت ماركو إلى الطابق السفلي. وبعد أن أقنعته بالوقوف لحراسة حقيبتها في الردهة الفسيحة، ذهبت تتفقد مستخدمي القصر، وتملكها الارتياح عندما رأت روزيتا في المطبخ. ابتسامة مدبّرة المنزل المرحّبة سرعان ما حل مكانها عبوس قلق عندما أخبرتها جينا برغبتها في الرحيل، واحتجت بضراعة: «لكن عليك أن تبقي لتناول الفطور على الأقل».

فأخذت جينا تدلي بأعذارها وعرفانها بالجميل لكل ما تلقته من تكريم. وكان الاصرار على الرحيل صعباً أمام كل هذا الاستعطاف للبقاء، خصوصاً عندما لحقت روزيتا بها إلى الردهة، مصرّة على القول بأن السيدة كينغ ستستاء جداً لعدم بقاء جينا وماركو في صحبتها هذا الصباح.

قالت جينا: «أرجوك أن تخبري السيدة كينغ أن ما جعلني أخرج باكراً هو شؤون عائلية. وأنا واثقة من انها ستتفهم الأمر».

وكان هذا أفضل مخرج استطاعت جينا أن تفكر فيه. وبسرعة دفعت ماركو إلى الخارج ثم اتجها إلى سيارتها.

وما إن انطلقا حتى باشر ماركو أسئلته: «من هو الرجل الذي كان في غرفتك يا ماما؟».

فأجابت: «إنه الرجل الذي تعرفنا إليه من قبل في القصر، هل نسيت؟ لقد أراك السمك في الحوض».

ـ أنا أتذكره. الرجل الطيب.

ـ نعم. والقصر بيته.

ـ أليس لديه غرفة خاصة به؟.

فأجابت: «بلى. لكنه جاء الليلة الماضية ليرى إن كنت أنت بخير، فوجدك تحت الأغطية. فكر في أن يرفعك إلى الوسادة، فاستيقظت أنت. هل تتذكر؟».

فهز ماركو رأسه.

تابعت تقول: «حسناً، صرخت باكياً فجئت لأراك. وعندما دخلت إلى غرفتك وجدت اليكس، الرجل الطيب، يحتضنك. أعادك إلى السرير وغطاك، ثم أراد أن يتحدث إليّ، وهكذا ذهبنا إلى غرفتي وانتظر حتى تأكد من أنك عدت إلى النوم».

كان منطق الأطفال البسيط رائعاً! كما أخذت جينا تفكر، راجية أن يكون تفسيرها قد أقنعه. وعاد هو يقول: «إنه رجل طيب، أليس كذلك يا ماما؟».

فأجابت من كل قلبها: «نعم».

وطيب أكثر مما تستحق ميشيلا بنكس! ولكن هل يفكر اليكس في فسخ خطوبته؟ كيف يمكن أن يعانق امرأة أخرى ويشعر حيالها بهذه الأحاسيس من دون أن يعيد النظر في خطوبته؟

* * *

عندما لم تستطع روزيتا أن تمنع جينا ترليزي وابنها من الرحيل، قررت أن ترتب غرفتها وتأخذ الملاءات إلى الغسيل. وكانت ايزابيلا قد أعلنت أنها لن تنزل إلى الفطور قبل الثامنة، إذ أن من عادتها أن ترتاح بعد حفلات زفاف.

دخلت غرفة المربية ثم وقفت مصعوقة. وجدت على الكنبة سترة... رجل! وبدت مثل سترة... وتنهدت روزيتا ثم توجهت إلى الكنبة لتتأكد من شكوكها. يا إلهي! إنها سترة السيد... أليساندرو! ماذا جاءت تفعل هنا؟

هذا يعني شيئاً واحداً فقط.

أدركت روزيتا الآن سبب خروج جينا ترليزي باكراً، وقررت أن تخبر مخدومتها على الفور.

أثناء خدمتها الطويلة في القصر، اعتادت روزيتا أن تصغي متعاطفة إلى ما كانت ايزابيلا تتحدث به عن أسرتها ومستقبلها. وكانت تتفاخر بأنها موضع ثقة مخدومتها، وتدرك تماماً أن ميشيلا بنكس ليست الزوجة التي تريدها ايزابيلا لحفيدها الأكبر، ونظراً لوجود سترته في غرفة جينا، فلا بدّ أن الخطة نجحت. ولكن جينا رحلت الآن...

وهزت روزيتا رأسها بقلق. لم تكن واثقة من أن التدخل في شوؤن الآخرين أمر حكيم. ولكن هذا من شأن الأسرة، وايزابيلا ستعرف ما عليها فعله، يجب أن تخبرها حالاً.

* * *

بدّل اليساندرو ملابسه ثم نزل إلى الطابق السفلي حيث وعدته جينا أن توافيه.

جينا...

راح يبحث عنها في أرجاء المنزل فلم يجدها.

لقد رحلت. لا أثر لها في غرفتها. لا بدّ أنها قلقة بسبب ماركو وما رآه. كيف تراها فسرت له الأمر؟ قطب اليكس جبينه لهذه الفكرة، وتمنى لو أنها لم تستبعده عن أي مسؤولية عما حدث، ربما هذا أسهل، وأقل احراجاً. ولكنه مسؤول أكثر منها لأنه جاء إلى

غرفتها وإن يكن من دون قصد. أخذ يفكر في نوع الزواج الذي يريده... امرأة تشاركه قيمه، وأولاده. وتوقف فجأة وقد تملكته الصدمة. أتراه أخبر جينا أنه فسخ خطوبته؟

ما الذي قاله لها في غمرة النقاش؟ تذكر احتجاجها على وجوده في غرفة ابنها، وسؤالها له لماذا لم يكن مع ميشيلا... وقد أجابها...

إنسي أمر ميشيلا!

تباً! لم يكن ذلك كافياً، والله وحده يعلم ما فكرت فيه جينا هذا الصباح، لكنه لم يكن حسناً. الذنب ذنبه لأنه لم يشرح وضعه بوضوح.

تابع بحثه عن جينا راجياً أن تكون في أرجاء القصر، تتنزه مع جدته. ذلك كان احتمالاً بعيداً. إلاّ أنه خرج في جولة حول القصر ليتأكد... ولكن عبثاً.

وجد صعوبة في الاسترخاء قبل دخوله غرفة الطعام. لم يشأ أن تتدخل جدته في علاقته بجينا قبل أن يحسمها هو بنفسه. أو على الأقل، يقطع شوطاً في تحديد موقف كل منهما من الآخر هذا الصباح.

يبدو أن اعلان فسخ خطوبته مع ميشيلا هو الطريقة الفضلى للتخفيف من الضيق الذي تشعر به جينا من هذه الناحية.

شدّد اليكس من عزيمته لمواجهة هذه المشاكل المتعددة وهو يدخل غرفة الطعام ليجد جدته بمفردها. وقف عند العتبة ليتمالك نفسه، ولحسن حظه كانت مشيحة بنظرها نحو الخارج، تتأمل شروق الشمس.

كانت الشمس هذا الصباح قد أشرقت منذ وقت طويل، لكن البحر تألق بأمواجه حتى ليكاد يأسر الناظر إليه.

كان أمام الجدة فنجان قهوة أراحت يدها بجانبه. وبدا واضحاً أن الفطور قد رُفع منذ مدة لأن جدته لم تكن تتوقع حضوره وهو الذي اعتاد أن يمضي سهرات السبت مع ميشيلا.

بقي واقفاً عند العتبة لا يدري ما عليه أن يفعل، إلى أن خرجت جدته عن تأملاتها ونظرت إلى فنجان قهوتها. وعندما مدت يدها إلى الجرس لتدعو روزيتا، علم اليكس أن فرصته في الاختفاء تلاشت، إذ قبل أن يتحرك كان بصرها الحاد قد وقع عليه.

قالت بلهجة توقّع واضحة: «أليساندرو... هذه مفاجأة».

فرد وهو يرغم نفسه على التقدم والتحدّث بشكل عفوي: «صباح الخير يا جدتي، هل رحل ضيفاك؟».

ـ إذا كنت تعني جينا ترليزي وابنها...؟

ورفعت حاجبيها لأنها لم تخبره بوجودهما.

فقال بسرعة: «أخبرتني جينا الليلة الماضية أنك دعوتهما لقضاء الليلة هنا».

ـ آه. توقعت أن يمكثا لتناول الفطور لكنهما خرجا باكراً.

كان عدم سرورها واضحاً. وتملك اليكس الشعور بالذنب.

بدا واضحاً الآن أن جينا هربت من القصر، خوفاً من الإحراج، أو، أسوأ من ذلك، المذلة. لقد وضعها، عن غير قصد، في موقف مريب للغاية وعليه أن يصلح الأمر الآن.

قرعت جدته الجرس ثم أشارت إليه للجلوس على الكرسي المقابل لها وهي تسأله: «أتريد أن تحضر لك روزيتا فطورك؟».

ـ لا أريد فطوراً. فنجان قهوة فقط من فضلك. فتناول الفطور سيستغرق وقتاً طويلاً.

حضرت روزيتا في الحال فطلبت منها الجدة قهوة لشخصين من دون أن تعبأ بالإلحاح عليه لتناول الفطور، وكان هذا غريباً أيضاً.

قالت جدته أثناء انتظارهما القهوة: «اظن أن العرس كان ناجحاً جداً الليلة الماضية».

بدا له أن العرس حدث منذ دهر، فقد كان ضبابياً بحيث لم يشأ أن يتذكره. لكنه قال: «نعم».

ـ الكلمة التي ألقاها انطونيو ممتازة.

قال: «نعم. إنه يستمتع بتسلية المستمعين».

كان انطونيو شخصاً اجتماعياً، ومرافقاً ساراً دوماً. وكان اليكس يتمنى احياناً لو أنه يتمتع بشخصية أخيه الأصغر المرحة المتألقة، وقابليته للتسامح ومجاراة الأمور. وكان هذا دوماً يقول له: (أنت تحاول أن تتحكم بأمور كثيرة يا أليكس).

لكنه أفلت زمام الأمور في الليلة الماضية.

وتابعت جدته تقول: «كما أن اكتشافي الجديد، جينا ترليزي، غنت بشكل رائع».

حوّل نظراته إلى النافذة إذ لم يشأ أن ترى جدته مدى تأثير جينا عليه، وتمتم يقول: «هذا هو رأيي أنا أيضاً».

صمتها الذي تلا ترك لديه انطباعاً قوياً بأنها تعلم، وأنها تنتظر منه أن يتابع كلامه. لقد رأته يراقص جينا ولعلها رأتهما يهربان من القاعة. ولم يكن هذا بالضبط تصرف رجل مخطوب.

من المؤكد أن عليه إطلاع جدته على أنه فسخ خطوبته الآن، وأنه لا ينوي العودة إطلاقاً إلى ميشيلا. حتى وإن لم يكن منجذباً نحو جينا، يستحيل عليه الزواج من امرأة يمكنها أن تخونه وهي مسرورة مبتهجة بذلك الشكل.

أعاده هذا مباشرة إلى الانطباع الذي لا بد أن جينا أخذته عنه وهو يخون خطيبته. كان هذا لا يطاق، رغم أن المشاعر التي تفجرت بينهما الليلة الماضية كانت متبادلة.

عادت روزيتا بالقهوة فالتفت ليبتسم لها شاكراً لكنها لم تبادله الابتسام. وبدت وكأنها تتجنب النظر إليه، شاغلة نفسها بوضع ما تحمله على المائدة. لم يكن من عادة روزيتا أن تبقى صامتة. فبدا له الأمر غريباً جداً. فروزيتا تعمل في القصر منذ صغره ولطالما كانت تبتسم له. وحوّل اليكس نظره بسرعة إلى جدته متفحصاً، لكنّ ملامحها لم تعبر عن شيء، وخطر في باله أنها هادئة ومتحفظة أكثر من العادة، ولا بدّ أنها تواجه مشكلة ما.

سألها: «ما المشكلة يا جدتي؟».

أنهت سكب القهوة، ثم قابلت عينيه الثاقبتين بحدة بالغة: «أنت المشكلة، يا أليساندرو».

أدرك على الفور أنهما تعلمان بعلاقته مع جينا.

فقال: «أنا آسف لاستيائك من تصرفي وقريباً جداً سأصحح أي مشكلة سببتها».

سألته والتأنيب في عينيها: «وما هو اقتراحك لإصلاح الوضع بالضبط؟ ربما عليّ أن اذكرك...».

فقاطعها قائلاً: «لقد نسخت خطبتي الليلة الماضية حالما انتهى العرس».

شعّت عيناها بشعور قويّ آخر قبل أن تستند إلى الخلف وقد بدا عليها الارتياح: «ألا تقدم على خيانة خطيبتك أمر جيد».

قال: «أؤكد لك يا جدتي...».

فقاطعته بحزم وقد أساءت فهم الموضوع: «دعني أوضح لك الأمر تماماً، يا اليساندرو. جينا ترليزي ضيفتي، وكان من المفترض أن تنعم بالهدوء في الجناح الذي أعطي لها ولابنها. إسراعها بالرحيل هذا الصباح يحدثني بالكثير الكثير...».

فقطب جبينه وسألها: «هل قالت شيئاً؟».

أجابت: «لا أتوقع من سيدة شابة محترمة أن تتكلم بالسوء عن الآخرين».

فقال باقتضاب: «لم يحدث أي سوء. ابقي بعيدة عن هذا الأمر يا جدتي، وسأصلح أنا كل شيء».

فردت عليه غاضبة: «احرص على القيام بذلك يا أليساندرو. لا أريد أن أشعر بالخزي من حفيدي».

الخزي؟

لسعته هذه الكلمة أكثر من أي شيء آخر بحيث أصبح عليه أن يعيد النظر في تصرفاته.

كانت جدته تحاول أن ترى بعيني جينا، أن تقرأ الأسباب التي جعلتها ترحل. ولم تكن الأسباب صائبة. لكن بدا واضحاً أن جدته تساند جينا.

وقف جامداً، وقد تفهّم ذلك الهجوم على سلوكه وقال بهدوء: «أنت تحبينها».

فأجابت: «نعم. أحبها. فهي جديرة بالاحترام تماماً، ويؤلمني أن يؤذيها أحد أفراد أسرتي».

أومأ برأسه. (جديرة بالاحترام). لم تحب جدته ميشيلا إطلاقاً، وقد عزا ذلك إلى أنها عجوز، قديمة الطراز، لا تنسجم مع عالم اليوم، فيما ميشيلا إمرأة عصرية للغاية. لعله هو أيضاً قديم الطراز، وبالتأكيد أصبح الاحترام الآن يجذبه أكثر من التألق السطحي.

وقال ليخفف من حدة التوتر بينهما: «لم يحدث أي شيء بيننا، يا جدتي. كان الانجذاب متبادلاً، وهذا ما أنوي متابعته».

أغمضت جدته عينيها وتنفست الصعداء: «ستجد رقم هاتف جينا وعنوانها في مفكرة مكتبي».

ـ شكراً. استأذن منك.

فأومأت قائلة: «أرجوك أن تنتبه. لا أحد يغني بذلك الشكل من دون أن يتمتع بأحاسيس جيّاشة».

ونظرت إليه محذرة.

فأجابها بشيء من السخرية: «أتظنينني لا أعرف ذلك. لعلي أخطأت الحكم بالنسبة إلى ميشيلا، لكنني أتعلم، يا جدتي، أتعلم».

وترك غرفة الطعام، مصمماً على تعلّم المزيد.

* * *

١٠ ـ نزهة

وقفت جينا في المطبخ تغسل أطباق الفطور، وتراقب ماركو من النافذة. كان يقود عربته الصغيرة في الأنحاء، ويلعب بمفرده في الفناء الخلفي.

إنه مكان آمن يلعب فيه ويراقب نمو الخضار التي زرعتها جينا، ليقطفها عندما تنضج.

وكانت جينا قد زرعت بعض الأزهار في الحديقة الأمامية، بعيداً عن مرمى كرة ماركو.

كان المنزل قديم الطراز ومصنوعاً من الخشب البني الجميل، تحيط به شرّفات تقيه الشمس الحارة. لم يكن كبيراً أو متألقاً... وليس قصراً بالطبع... لكنه كان هدية زوجها أنجيلو من والديها ووالدي زوجها... وهي الآن من دون زوج، وماركو من دون أب.

هل من الجنون أن تحلم بأن يملأ اليكس كينغ هذين الدورين؟ اهتمامه بماركو الليلة الماضية... حبه لها...

وأطلقت آهة مثقلة بكل التعاسة التي سبّبتها لها علاقته بميشيلا بنكس. لعل اليكس وخطيبته اختلفا في حفل الزفاف، وانتهيا بشجار عظيم وثورة محمومة. في أحوال كهذه يخرج بعض الناس عن طورهم، لكنهم يهدأون بعد يوم أو يومين...

ورن الهاتف.

أسرعت جينا تنشف يديها لترفع السماعة. توقعت أن يكون المتصل أمها التي ستسألها حتماً عن حفلة القصر... فقد كان شرفاً عظيماً أن تطلب منها ايزابيلا كينغ أن تغني...

عبست جينا إذ أنها مضطرة للتظاهر بالبشاشة والإدعاء بأنها على أفضل حال، وكأن شيئاً لم يكن بينها وبين أليكس.

قالت مرغمة نفسها على الكلام بمرح لا تشعر به: «آلو... هنا جينا».

فجاءها الجواب القوي: «جينا، أنا أليكس كينغ».

وعلى الفور، دار رأسها وأخذت تغلي في عروقها مشاعر. أخرستها الصدمة التي تملكتها لسماعها صوته بهذه السرعة. فقد كانت تفكر في أنها قد لا تسمعه على الإطلاق. نظرت إلى ساعة المطبخ فرأتها تشير العاشرة، أتراه اكتشف رحيلها لتوّه؟ أتراه اتصل ليقول إن عناقهما في الأمس مجرد غلطة؟

تسارعت دقات قلبها، وانقبض صدرها. وجدت نفسها عاجزة عن التنفس، فامسكت بسماعة الهاتف بقوة وعنف. وتمنت أن يقول شيئاً... كلمة تخفف هذا التوتر الفظيع وتعيد إليها السكينة والبهجة اللتين حطمتهما الشكوك والمخاوف.

تابع يقول: «أظنك شعرت أن رحيلك باكراً هذا الصباح أمر حكيم. ولكن هل يمكننا أن نتقابل اليوم؟».

نتقابل... اليوم...

لم تستطع أن تجيب. جعلها الذهول والفرح تشعر بالدوار. يبدو أنه لا يريد أن ينسى المشاعر التي غمرتهما الليلة الماضية. يريد أن يكون معها مرة أخرى، ولكن... لماذا؟ ربما يشعر بالحاجة لأن يوضح موقفه... لأن يجد لنفسه عذراً...

وجاءها صوته: «جينا...؟».

حاولت أن تبلل فمها الجاف. كان قلبها يصرخ «نعم» للقياه، لكنها شعرت بالخوف، فهو لا يزال مرتبطاً بتلك المرأة. لماذا يطلب لقاءها؟ أتراه يريد أن يختبر مشاعره؟ أم... يرجو أن يقضي بعض الوقت معها ليس إلاّ.

قال بسرعة: «جينا، لم تعد لي علاقة بميشيلا، لقد فسخت خطوبتي بها بعد حفلة الزفاف ولم يعد من حاجز لكي...».

وسكت. بدا واضحاً أنه يبحث عن كلمات غير مؤذية، ثم أضاف: «أعني ما من سبب يجعلك تعتبرينني ألهو. أرجوك أن تصدقي ذلك».

لقد انتهت علاقته بميشيلا بنكس. وجعلها هذا الخبر تطير من السعادة.

وتابع نادماً: «كان يجب أن أخبرك بذلك الليلة الماضية. وأنا اعتذر من كل قلبي لأي حزن سببته لك هذا الصباح».

تنفست الصعداء من كل قلبها وردت: «شكراً يا اليكس، لقد أقلقني ذلك فعلاً».

كان هذا أقل ما يمكنها قوله، لكن هذا لم يعد مهماً الآن. لقد تبددت تعاستها، وامتلأ قلبها بالأمل، وعاد هو يلحّ قائلاً: «أودّ أن أمضي بعض الوقت معك اليوم، ما رأيك بنزهة في البرية مع ماركو؟».

فأجابت، محاولة ألاّ تظهر لهفتها وشوقها: «رائع. «شلالات البلّور» مكان جميل للتنزه وهي ليست بعيدة من هنا. أنا أسكن في «ريدلينش» في ضاحية كيرش».

فقال: «أعرف هذا. جدتي أعطتني عنوانك».

وكانت هذه صدمة أخرى امتزجت بفيض من السرور.

سألته: «هل تحدثت معها عني؟».

خرجت من فمها هذه الكلمات من دون وعي كاشفة عن حاجتها إلى إعلان علاقتهما أمام الأسرة. فأجاب: «منذ فترة قصيرة. هل يناسبك أن أمر بكما عند الساعة الثانية عشرة؟».

أجابت والسعادة تغمرها لهذه السلسلة من الأحداث: «نعم. سنكون جاهزين».

ـ حسناً. إلى اللقاء إذن.

نزهة مع أليكس كينغ. وضمّت سماعة الهاتف إلى صدرها. ما يحدث لها حقيقة، وليس حلماً جنونياً. اليكس يريد أن يكون معها ومع ماركو.

* * *

نزهة مع جينا! ووضع اليكس السماعة. أحس بالانتصار لهذا الإنجاز وراح يتأمل هذا اللقاء الذي خطط له.

متى كانت آخر مرة خرج فيها في نزهة؟ لم يستطع أن يتذكر. ومع ذلك اندفعت هذه الفكرة إلى ذهنه مباشرة... جينا، ماركو، نزهة عائلية. وبدت له هذه الصورة مغرية.

أتراها رد فعل عكسية على ميشيلا؟

أم على وجبة الأحد التي يتناولانها في مطعم عصري على ضفاف النهر... حيث يمضيان الوقت في تبادل أحاديث تافهة عن الأناقة والأزياء؟

لا بدّ أنه يشعر بالحاجة إلى الانتقال إلى نمط آخر مختلف تماماً، وتشكل جينا ترليزي وابنها محور الإتجاه الجديد. ولكن ربما عليه أن يتصرف الآن بحذر وأن يأخذ أموراً عدة بعين الاعتبار، بدلاً من أن يغرق في علاقة جادة أخرى.

كانت علاقته بميشيلا غلطة فادحة.

فهل يتكرر الأمر مع جينا؟

وتذكر فجأة تحذير جدته.... أرجوك أن تحاذر... يا أليسندرو.

ولكن هل عليه، أن يتحكم بمشاعره مع جينا؟ وهل هو قادر على ذلك؟ كل ما يعرفه هو رغبته في أن يراها، وأن يكون معها، ويعرف المزيد عنها... ويستحيل أن يحرم نفسه من هذا.

* * *

كانت جينا لا تزال غارقة في مشاعر السعادة، عندما اتصلت بها أمها بعد نصف ساعة. وتدفقت البهجة من صوتها وهي تجيب على فيض الأسئلة عن حفلة الزفاف.

قالت الأم أخيراً راضية: «إذاً كان الثنائي ناجحاً».

فأجابت جينا بحماسة: «تماماً. كانت السيدة كينغ مسرورة من الإداء المزدوج. كما أن بيتر أوين قال إنه سيتصل بي لنقدّم أعمالاً أخرى معاً».

ـ حسناً، هذا مديح من محترف حقيقي، ولا أقصد أن صوتك سيء.

فضحكت جينا: «أنا أعرف ما تقصدينه، لكنني لا أعرف مدى صحته، لأن بيتر أوين متملّق كبير».

عندئذ، قالت الأم: «يجب أن تأتي للغداء وتخبريني بكل شيء».

فأجابت بسرعة: «ليس لدي ما أخبرك به يا ماما».

لكنها لم تذكر أهم حدث حصل منذ الليلة الماضية، فبقايا عميقة من المخاوف والشكوك منعتها من الحديث عن اليكس كينغ مع أمها. لن تخبرها الآن، كما أخذت تناقش نفسها بحذر، ليس قبل أن تتأكد مما يريده اليكس كينغ حقاً من لقائهما اليوم. وعادت تقول معتذرة:

«لقد وعدت ماركو، في الواقع، بالخروج في نزهة. لذا لن أتمكن من زيارتك ولكن شكراً على دعوتك هذه».

فقالت الأم: «حسناً. سأتصل بك خلال الأسبوع. دعيني أتكلم الآن إلى ماركو».

لم تجازف جينا بترك ماركو يثرثر عن الرجل الذي كان في غرفة أمه، فقالت: «إنه يلعب في الخارج. دعي هذا إلى المرة القادمة، اتفقنا؟».

رجت أن يكون، حتى ذلك الحين، قد نسي ذلك الخبر في غمرة هذه الأحداث المثيرة. وأجابت الأم: «لا بأس على الإطلاق. وأنا مسرورة من أجلكما يا جينا. سأذهب وأخبر أباك بنجاحك الكبير».

فقالت: «شكراً يا ماما. وداعاً الآن».

وضعت جينا السماعة وقد ازدادت اقتناعاً بأنها ليست ملائمة لأليكس. وتذكرت كل الأسئلة التي طرحها عن أسرتها وخلفياتها بعد أن رقصا مع بعضهما البعض وقبل أن يعانقها ثم يعلن أنه لم يتصرف بعدل.

لم يكن عدلاً أن يعانقها فيما هو خطيب ميشيلا بنكس، وليس عدلاً أن يمنحها حياة لن تنسجم أبداً مع حياته.

فسخ خطوبته لايثبت شيئاً على المدى البعيد ما عدا أنه قرر ألاّ يتزوج بمصممة أزياء لامعة. وهذا لا يعني أنه سيختار جينا زوجة له. عليها أن تكون حذرة جداً ولا تتوقع الكثير من رغبة اليكس في قضاء هذا النهار معها، لأن لقاءهما الليلة الماضية ما زال حياً في ذاكرتها. ولعله يشعر بالذنب بسبب ذلك، فهو، بكل بساطة، يريد أن يصفّي كل شيء بينهما.

ولكن، من ناحية أخرى، كان بإمكانه أن يفعل ذلك بمكالمة هاتفية.

كانت جينا تعلم في أعماقها أنها لا تريد أن تحرم نفسها من أي علاقة بينها وبين اليكس مهما كان نوعها، رغم ما في تصرفها هذا من طيش وتهوّر. بالنسبة إليها، هذه فرصة لا تطرق بابها سوى مرة واحدة في الحياة.

في الواقع، لا تريد أن تتحدث عن ذلك مع أمها أو أي شخص آخر. لا تريد أن تسمع شكوكاً ولا مخاوف أو محاذير. يمكنها أن تفكر في ذلك كله وحدها. ومهما كانت النتائج، ستصغي إلى قلبها أولاً ومن المؤكد أن الحب أهم من كل شيء.

* * *

عند الساعة الثانية عشرة، كانت جينا مستعدة، إذ قررت ألاّ تغير ملابسها وملابس ابنها، فهي تحب هذه الثياب التي أرادت أن تظهر بها على الفطور في القصر.

أخذ قلبها يخفق بعنف عندما ناداها ماركو من الردهة: «إنه هنا، يا ماما. سيارته مثل سيارة خالي «داني»».

كانت سيارة عادية وليست فريدة.

وخطر لها على الفور أنه يستعمل دون شك سيارات أخرى أثناء مواعيده مع ميشيلا بنكس. (كفّي عن هذا) أخذت تعنف نفسها بغضب، فهذه من أجل النزهة وليست جولة للمباهاة. كما أنها لا تتصور أن في سيارته مقعداً خاصاً آمناً من أجل ماركو، لذا سيستقلون سيارتها على كل حال.

حملت الحقيبة التي جهزتها من أجل ابنها. فأليكس لا يمكن أن يعرف احتياجات الصغار أو الحوادث التي يمكن أن تحدث لهم. وتنفست بعمق وهي تتجه إلى الباب الخارجي خلف ماركو، الذي كان متحمساً للغاية.

خرجا إلى الشرفة في الوقت الذي بدأ فيه اليكس يصعد

الدرجات. وقف ينظر إليهما، وكأنه يقيّم ما يفعله هنا. كان يرتدي بنطلون جينز أزرق وقميصاً رياضياً من اللون نفسه جاعلاً زرقة عينيه بالغة الحيوية فلم تستطع جينا أن تحوّل نظراتها عنهما، وراح كيانها كله يرتجف بانتظار حكمه. ثم ابتسم، فإذا توترها المضطرب يستحيل سروراً حاراً.

قال: «مرحباً. ما أجمل أن اراكما مرة أخرى. هل تتذكرني يا ماركو؟ اسمي أليكس».

فأجاب ماركو بغرور: «نعم أتذكرك. أنت لم تفزع من ضفدع قصب السكر، كما أنك أريتني السمكات الجميلة».

ضحك اليكس مسروراً بهذا التمييز، وقال: «حسناً، ربما سنجد شيئاً مثيراً نفعله عصر هذا اليوم. سأحمل حقيبة أمك ثم نذهب».

وحمل الحقيبة وهو يقول لجينا ساخراً: «ما كان لك أن تحضري شيئاً يا جينا».

فأجابت: «إنها أغراض ماركو. لم أكن واثقة...».

ـ تصورت أن الصغار يحبون الدجاج المشوي والموز والمثلجات.

وغمز بعينه مداعباً، ثم تابع: «صحيح؟».

فابتسمت: «صحيح تماماً».

كانوا متوجهين إلى البوابة الأمامية حين تذكّرت مشكلة الكرسي، فقالت: «لا أظن أنّ في سيارتك مقعداً خاصاً له. لقد فكرت في...».

فقاطعها: «بل يوجد كرسي. طلبت تركيب واحدة في مكتب تأجير السيارات».

سكتت حائرة للعناء الذي تكبّده من أجلهما، فقال يذكرها برقة: «لقد دعوتكما أنتما الإثنين».

فتمتمت تشكره وقد احمرّ وجهها كتلميذة مدرسه معقودة اللسان. لم يحصل لها منذ ترمّلت أن اهتم رجل من خارج أسرتها بها وباحتياجات ابنها... رجل بجاذبية اليكس كينغ... وتدفقت إلى ذهنها ذكريات عناقهما الحميم فوجدت نفسها تتخبط في هذا الوضع بدلاً من أن تبتهج بذلك بثقة أنثوية.

تولى اليكس مقاليد الأمر، فساعد ماركو على الجلوس في مقعده وسوّى حزام الأمان حوله، ووضع حقيبتها في المقعد الخلفي من سيارة الجيب، ثم فتح لها باب المقعد الأمامي.

كانت الدرجة عالية، فحاولت عبثاً الصعود إلى مقعدها فما كان من أليكس إلاّ أن حملها ووضعها في الداخل قائلاً: «ما من مشكلة».

وما لبثت ابتسامته العريضة أن التوت وهو ينظر في عينيها ليرى أنها تتذكر العواطف المحمومة التي خالجتهما الليلة الماضية فتمتم يقول: «لم أستطع المقاومة».

وفي لحظة انجذاب انزلقت نظراته إلى شفتيها.

وسأله ماركو: «هل ستشد حزام ماما أيضاً؟».

حبست جينا أنفاسها وهو يقترب منها ليشد الحزام من حولها قائلاً: «ها قد وضعنا الأحزمة. من المهم التقيد بالنظام».

وكانت كلماته هذه موجهة إلى ماركو.

أغلق الباب، واتجه إلى مقعد القيادة، فاستطاعت جينا في هذه الأثناء أن تتمالك نفسها بعض الشيء، رغم أن السعادة لا تزال تغمرها لشعورها بأنه متأثر بها تأثرها هي به.

فقال ماركو ينتقده: «لكنك لم تتقيد بالنظام وتركت سترتك مرمية على الكنبة. ألم تعلّمك أمك ترتيب ملابسك، كما علّمتني ماما؟».

توقف قلبها عن الخفقان. لم يكن ثمة خطأ في ما أشار إليه

ماركو، لكنها شعرت بأليكس ينظر إليها مستغرباً، وكأنه نسي أن سترته بقيت في غرفتها. وإذ استدرك، قال: «بلى، علمتني أمي ذلك يا ماركو، لكنني شعرت بالحر فخلعتها ونسيتها».

فقال ماركو راضياً: «إذن فأنت ولد طيب».

وردّ اليكس: «تأخرت في استنتاج ذلك».

امتدت يد قوية تعتصر يد جينا فبادلته ذلك، شاكرة له مساندتها، ما جعل بينهما حساً من التقارب مرة أخرى. تمتم يسألها: «ما رأيك؟».

فابتسمت له مداعبة: «أحسنت».

بدا سرور خبيث في عينيه: «وأنت كذلك».

لم تحتج مشاعرها سوى كلمتين منه لتستعر داخلها، حتى أنها نسيت وجود ماركو الجالس في المقعد الخلفي، ونسيت أن ترشده إلى متنزه (الشلالات البلورية)، حتى أنها نسيت أنهم ذاهبون في نزهة.

أخذت تنظر إليه يقود السيارة، متأملة رقته ونعومة يديه وجماله الرائع، وما يثير فيها من أحاسيس.

* * *

١١ ـ الخيار لها

التحكم....

بقي اليكس متحكماً بمشاعره وهو يعيد جينا وماركو إلى البيت بعد النزهة. كانت نزهة مسلية استمتع بوجوده فيها معهما. ربما تحدث أكثر مما يجب عن حياته، ولكن جينا شجعته على ذلك باهتمامها بذكريات بعيدة من أيام طفولته. لكن الحديث، على الأقل، صد رغبته في لمسها، واستعادة المشاعر العنيفة التي لا تزال تغلي في ذاكرته.

رائحتها وهي تجلس بجانبه، منعته من التركيز على الطريق. الصداقة مهمة، كما أخذ يحدث نفسه. أكثر أهمية من أي شيء آخر في العلاقة. لكنه شعر أنها انسجمت مع كل ما كان يخبرها به عن نفسه أثناء النزهة... التفهم، والتقدير، والتسلية الواضحة في عينيها... كل ذلك جعله يرغب في الإسراع بتعميق الإلفة بينهما.

لكن من الأفضل أن يتنظر حتى يعتاد ماركو على رؤيته معهما دوماً، ويتقبله بشكل طبيعي كرجل في حياة أمه.

وارتسمت ابتسامة على شفتيه. إنه على استعداد لدفع أي ثمن الآن لكي يعانق جينا ويشعر بالسعادة بين ذراعيها. وهي أيضاً تريد ذلك. لقد بدا ذلك جلياً في عينيها.

www.elromancia.com

لا!

عليه أن ينتظر. لقد دعته على العشاء مساء الاربعاء، وقد ألحّت عليه في دعوتها. ولا شك أن ماركو سيأوي إلى فراشه باكراً فتصبح جينا معه وحده... وهذا وضع لا بد أنها فكرت فيه هي أيضاً... هما الإثنان معاً في مكان منفرد.

قال لها: «سأحضر المشروب معي».

ـ كما تشاء. لكنك لم تدعني أساهم في نفقات النزهة يا اليكس.

فقال: «كانت النزهة كفارة عن ذنبي، وسررت بها. هل تبدد قلقك الآن؟».

تنهدت بسعادة وردت: «كانت نزهة جميلة، شكراً».

الحرارة في صوتها لم تُبق لديه شك. وعندما أوقف السيارة أمام منزلها، أقنع نفسه بأن يرضى حالياً بهذه المودة التي تجمعهما. كان ابنها نائماً في مقعده. فهل يحمله إلى المنزل؟

لا. لن يبدأ عملاً سيرغب في إتمامه وهو لا يريد أن يجازف.

سيوصلهما فقط إلى الباب، ثم يرحل.

وساعده على الالتزام بقراره أن ماركو سار على قدميه حين رفعه من مقعده، ما جعل الوداع سهلاً نسبياً.

وعندما همّ بالعودة إلى سيارته، ليرحل توقفت سيارة رياضية بيضاء خلف سيارته.

وترجّل منها بيتر أوين.

توقف اليكس وقد تملكه التوتر. لم يشأ أن يقترب بيتر أوين من جينا بأي شكل. ما الذي جاء به إلى هنا؟ ألم يكفه أن أدار رأس ميشيلا فجاء يجرب حظه مع جينا أيضاً؟

وجاءته تحيته العفوية الواثقة: «مرحباً. هل كنت تزور رفيقتي

الجديدة؟».

فقال اليكس بخشونة: «رفيقتك؟».

ولم يكد يتمالك أعصابه التي أثارها هذا الرجل.

فأجاب هذا متلذذاً: «جينا ذات الصوت الأسطوري، ألم تكن رائعة الليلة الماضية؟ كان اكتشاف جدتك عظيماً حقاً».

قال اليكس موافقاً: «نعم. هذا صحيح».

لكن اكتشافها هذا لم يكن من أجل أمثال بيتر أوين.

فقال له: «فكرت أن أمرّ بها لتتكلم قليلاً هذا إذا كانت هنا. إنها هنا أليس كذلك».

أجاب: «حسناً، إنها هنا.».

وأومأ إلى الشرفة حيث كانت جينا وماركو ينتظران اليكس ليرحل... أو لعلهما يريدان أن يعرفا سبب حضور بيتر أوين.

وقال بيتر: «الحظ دائماً إلى جانبي».

زاد هذا الإدعاء من غضب اليكس، من عادة بيتر أن يقتنص الفرص ويحوّلها إلى مصلحته، فقال محذراً: «لا تلحّ في الأمر أكثر من ذلك، يا بيتر. جدتي لن تحب أن تحوّل المغنية التي اكتشفتها اتجاهها عنها. إنها مولعة بجينا ترليزي تماماً».

رفع بيتر حاجبيه هازلاً، لكن عينيه بدتا باردتين صلبتين: «آه، آل كينغ لا يملكون كل شيء هنا، يا اليكس. الناس يمكنهم أن يختاروا بأنفسهم، وعلى جينا نفسها أن تختار العرض الذي تريده».

فكر اليكس في سرّه أن هذا صحيح، وعليه أن يثق بحكم جينا على هذا الأمر. لكنه يكره فكرة التصاق هذا الرجل الكريه بحياتها. تذكر أنها قالت إن الغناء في النوادي لا يعجبها. وتمنى لو أن بيتر لا يتمكّن من إقناعها بغير ذلك.

هز كتفيه قائلاً: «طبعاً الخيار لها، تأكد فقط من أنها تدرك ما

تقدمه لها».

كان يدرك أن اظهار حمايته لها قد يخلق حافزاً لدى رجل ينعشه أي تحد لغروره.

ورد عليه بيتر ساخراً: «أنا لا أقطع وعوداً لا أستطيع الإيفاء بها».

كان هذا مختصراً مفيداً في حساب بيتر أوين. وأخفى اليكس ازدراءه إذ لم يشأ أن يكشف ما عرفه في الليلة الماضية، فقال بخشونة: «هذا عدل! لكنني آمل أن تفكر في أنها أرملة مع طفل».

ـ حسناً، ربما بإمكاني أن أمنحها فترة سارة أو اثنتين.

وكان على اليكس أن يقاوم دافعاً وحشياً لأن يحطم وجه هذا الساخر الفاسق. قال له: «سأتركك لهذا الأمر إذن».

رفع أوين يده يحييه بسخرية: «أراك قريباً، يا أليكس».

كان عليه أن يذهب، إذ لا يحقّ له أن يسد الطريق أمام جينا، ولا أن يرغم بيتر على الابتعاد عنها. وعندما صعد إلى سيارته، نظر خلفه إلى الشرفة فدهش عندما لم يرَ أحداً. بدا واضحاً أن جينا قررت إدخال ماركو إلى المنزل من دون أن تنتظر انتهاء حديثه مع بيتر أوين. ربما ظنت أن بيتر رآه مصادفة فوقف معه ولم يكن هنا من أجلها.

كان الأمر عائداً إليها لتتخذ قرارها بشأن بيتر، فالخيار خيارها، تماماً كما كانت زلة ميشيلا الليلة الماضية خيارها أيضاً. فالناس يفعلون ما يريدون، وهو سيعرف ليلة الأربعاء ما تريده جينا. وفي الوقت نفسه عليه أن يكبح جماح مشاعره وينتظر.

كان هناك أمر واحد مؤكد.

وهو أنه لن يتنافس مع رجل يحتقره.

* * *

قالت جينا لماركو، آملة أن تشغله بشيء ما، ريثما تتحدث إلى

بيتر أوين: «أي شريط تحب أن تشاهد؟ (فتى الأدغال)؟؟؟».

وكان هذا هو الفيلم المفضل لدى ماركو، فأجاب وهو يجلس مستعداً: «نعم. (فتى الأدغال)».

كان لا يزال متعباً من هذه النزهة، ومن المحتمل أن ينام وهو يشاهد التلفزيون، مما سيؤثر سلباً على موعد نومه. لكنه أفضل من أن تمنح بيتر أوين مادة للأقاويل، كما قررت جينا.

فهو من الرجال الذين ينشرون الأقاويل والشائعات. أثناء تمارينها الاسبوع الماضي، دارت أحاديثه معها عن الشائعات وعن الناس الذين يعرفهم، وكان مسلياً لكن ظهر شيء من الحقد في كلامه. ولم يعجب جينا فكرة أن تكون أحدث خبر لديه، فسيشيع الأخبار لا سيّما بعد فسخ خطوبة اليكس وميشيلا بنكس، وسيكون من الفظيع أن تتهم هي بذلك.

يكفي أنه وصل إلى بيتها في الوقت الذي كان اليكس يغادره فيه. شعرت بأن هذه المصادفة لم تعجب اليكس، هو أيضاً، فقد تصلب ظهره تماماً عندما خرج بيتر أوين من سيارته. ولاحظت جينا خلال حديثهما أنه بقي متشنجاً طوال الوقت.

أقلقها ما كانا يقولانه. ولا شك أنها ستعرف ذلك قريباً. لهفتها للاحتفاظ بخصوصية علاقتها باليكس كينغ جعلتها تدخل المنزل. أولاً، لتبعد ماركو عن طريقها فلا يرى أو يقول شيئاً، وثانياً لتخفي حقيبتها عن نظر بيتر أوين، فلا بدّ أن رؤية اليكس هنا قد أثارت فضوله بما يكفي.

رن جرس الباب في الوقت الذي بدأ فيه شريط الڤيديو. قالت لماركو بحزم: «إبق هنا يا ماركو، ماما عليها أن تتحدث عن الغناء مع بيتر أوين. الأمر يتعلق بالعمل. هل فهمت؟».

فأجاب: «نعم».

بذلت جينا جهدها لكي تسيطر على خشيتها وهي تنزل إلى الردهة. هذه ليست سوى زيارة مهنية كما أخذت تحدث نفسها، رغم أن حضوره دون اتصال سابق لم يبد مهنياً تماماً، لا، بل لم يعجبها على الإطلاق. كانت وقاحة وغطرسة صريحة أن يظن أنها سترحّب به في أي وقت. في الواقع لم تشعر بأنها مضطرة لدعوته لدخول بيتها، فقد شعرت بأنه متطفل. لذا، عندما فتحت الباب، خرجت إلى الشرفة مباشرة للتحدث إليه، فقالت: «هذه مفاجأة، يا بيتر، ما الذي أحضرك إلى هنا؟».

فأجاب بشيء من الغرور: «رائحة النجاح الحلوة. كنا رائعين الليلة الماضية كما تعلمين».

وأتبع كلامه بابتسامة ساحرة.

فقالت: «أنا مسرورة أن هذا رأيك، ولكن...».

قاطعها بقول: «كنت أتناول الغداء قريباً من هنا فخطر لي أن اضرب الحديد وهو حامٍ، فجئت إلى هنا لأطرح عليك بعض الأفكار».

استعمل العمل طعماً يجذبها به. ولسبب ما، جعلتها فكرة القيام بعمل ثنائي مع بيتر أوين، تشعر بالضيق. كانت في الاسبوع الماضي مركزة على الإداء في القصر، أمام اليكس كينغ. أما الآن... ربما من الحماقة أن ترفض عملاً جيداً كهذا ولكن من الأفضل أن تمنح نفسها وقتاً للتفكير بالموضوع.

فقالت تعتذر: «أخشى أن الوقت غير مناسب، ماركو متعب وعلى وشك أن ينام أمام التلفزيون...».

قاطعها بفضول بالغ: «هل أحضرك اليكس من القصر الآن؟».

فردّت متنهدة بضعف: «كان يوماً شاقاً».

ولم تجبه على سؤاله.

فقال: «وأنت تشعرين بالإنهاك؟».

ابتسمت ساخرة وأجابت: «نوعاً ما، هل من أمر طارىء تحدثني به يا بيتر؟».

مدّ يده يلامس خدها بإصبعه وهو يكرر: «فقط لا تنسي كم كنا متلائمين معاً. أظن بإمكاننا أن نستفيد كثيراً من عملنا الثنائي هذا، يا جينا. فكري في ذلك. سأتصل بك خلال الأسبوع».

فقالت موافقة بدون أن تهتم بلمسته المبالغة في الإلفة هذه: «لا بأس».

ابتسم مسروراً وردّ: «فتاة طيبة!».

كبحت غضبها، شاعرة بأنه يعاملها باستعلاء، وهذه هي الحقيقة طبعاً ما دام هو المغني الشهير. ولكن، لا بأس فهو الذي جاء اليها وليس العكس. وقالت: «ربما عليّ أن أخبرك أنني أغني فقط في الأعراس، يا بيتر، أما الغناء في النوادي فهو ليس لي».

فأجاب على الفور: «هل جرّبت ذلك يوماً؟».

ـ لا.

قال: «صوتك رائع، يا جينا ترليزي. وقد حان الوقت لتدعي مزيداً من الناس يسمعه».

وابتسم مرة أخرى متفهماً: «أنا ادرك أنك متعبة، حالياً، وأن ابنك يأخذ كثيراً من وقتك، ولكن لديك حياة عليك أن تعيشيها أيضاً، وموهبة يجب ألاّ تفرّطي بها».

ورفع يده يوقف أي احتجاج ثم أضاف: «تصبحين على خير. سأتصل بك».

كان نقاشه أشبه بموقف ميشيلا من موهبتها. أخذت جينا تفكر في ذلك وهي تنظر إلى بيتر وهو يعود إلى سيارته... موهبة... التفريط بها. ولكن هل هذا صحيح؟ إنها تستمتع بالغناء، وهي لا

تستطيع أن تنكر أن إداءً جميلاً أمام المستمعين يدير رأسها. جميل أن يصفقوا لها. جميل أن تمتع الناس.

ومع ذلك، لم تكن تجهل كم من الجهد عليها أن تبذل لكي تتقدّم وتبرز. كما أنها قرأت عن مهنة الغناء، وتعلم أن السقوط فيها أكثر بكثير من النجاح. قد يتمكن أوين من منحها النجاح والشهرة، لكن ألا يريد بديلاً مقابلاً لكل هذا؟

انطلق بسيارته الرياضية الرائعة. أتراها تنبىء عن مدى نجاحه؟ ولكن إلى أي حد كان سعيداً في حياته؟ وخلفه أكثر من طلاق واحد..

دخلت جينا بيتها وهي تهز رأسها، وأغلقت بابها على نهار حافل أكثر مما كانت تتصور. ربما لأصغت إلى حديث بيتر أوين بذهن اكثر انفتاحاً لو أن اليكس كينغ لم يدخل حياتها. فعلاقتها به أكثر أهمية لديها من أي شيء آخر وهي لا تريد أن تفسدها بعدم وجودها في كل مرة يرغب فيها في أن يكون معها.

لم تكن هذه وجهة نظر المطالبين بمساواة المرأة بالرجل، كما أخذت تفكر ساخرة وهي تسير إلى غرفة التلفزيون. كان ماركو قد نام على الكنبة، وعندما نظرت إلى ابنها النائم، رأت فيه انجيلو بوضوح فاعتصر قلبها. هذا الصبي يستحق أن يحظى بأب.

وهي تريد زوجاً.

هل اليكس هو الرجل الذي يمكن أن يمنحهما الحب والرعاية اللذين فقداهما؟

أم أنها تطلب المستحيل؟

* * *

١٢ ـ وليمة... حب

وجد أليكس جينا في المطبخ تمزج السلطة، فقال لها ضاحكاً بسبب المتعة التي شعر بها وهو يقرأ للصبي حكاية قبل النوم: «ماركو يريدك أن تقبليه قبل أن ينام».

أشرق وجهها بابتسامة فورية: «هل أفهم من هذا أن السيد فرميل حطم مراكب الناس كلهم في مدينة «راغاتا»؟

فأجاب: «بكل عنف».

ضحكت وقالت: «شكراً لك يا اليكس. لا بد لي من القول إنك قرأت الحكاية بشكل رائع».

وفكر بمدى روعتها هي في التعبير... بالعينين... بالفم، بالصوت، بالكتفين، باليدين، بحدة العواطف.

بدت جذابة جداً بثوبها الأنثوي الأزرق الناعم الذي يبرز قدّها المتناسق. وفكّر أليكس أن ميشيلا ما كانت لتلفت النظر فيه، لكنه بدا على جينا رائع الجمال ومليئاً بالأنوثة.

نشفت يديها ثم أشارت إلى مائدة المطبخ: «كل شيء جاهز. يمكنك أن تفتح زجاجة المرطبات بينما أقبل أنا ماركو قبل النوم».

ـ حسناً.

وعندما مرت به، شعر برغبة في الإمساك بها ومعانقتها لكنه أقنع

نفسه بالنظر إليها فقط. تمنى لو أنها تبقى بقربه، إذ لم يحتمل ابتعادها عنه ولو أمتار قليلة. يا إلهي، ما هذا الذي يشعر به نحو هذه المرأة؟

افترض أليكس أن يكون الطعام الذي حضرته للعشاء إيطالياً. فصحيح أنهما من مواليد استراليا، إلا أن الطعام الايطالي لا يزال هو التراث السائد.

فتح الزجاجة وأخذها إلى غرفة الطعام ليملأ الكأسين اللذين وضعتهما على المائدة المزينة بالشموع والأزهار والنباتات الاستوائية الجميلة التي ذكرته بأنها تعمل في متجر زهور.

خطر بباله أنه من المؤسف أن تكتفي بهذا العمل، وألاّ تتفرغ للغناء فتصلب جسمه على الفور. كان صوتها الرائع جزءاً متمماً لها، فهي تغني من أعماق روحها حتى أن إسكات ذلك الصوت ليكاد يكون جرماً شنيعاً بحقها. لكنه لا يريدها أن تصبح هدفاً لأمثال بيتر أوين فيستغلون موهبتها.

لا بأس، موهبة استثنائية مثل هذه يجب استغلالها. سيكون من الخطأ أن يقف في طريق أي فرصة تسنح لها. ولكن إذا اختارت مرافقة بيتر أوين... وإذا بجينا تدخل حاملة طبقي سلطة وهي تقول: «هل أنت جاهز للعشاء الآن؟».

كان لا يزال يحمل زجاجة المشروب في يده، فدفعه دفؤها المتألق إلى الابتسام وسألها: «هل يمكنني أن اساعدك بشيء آخر؟».

فأجابت: «الخبز. وضعته في الفرن مع الجبن والأعشاب واللحم ولكن إذا كنت تفضل خبزاً عادياً...».

هز رأسه وقال: «هذا عظيم».

كل شيء كان عظيماً، الطعام والسلطة والمشروب، لكن صحبتها كانت الأفضل. عشق تجاوبها التلقائي معه، وفتنة صوتها

المرح، والجاذبية الطبيعية التي تفيض منها. مجرد مراقبتها وهي تستمتع بالطعام كان يبعث فيه السرور. لم تأتِ على ذكر «الريجيم»، حتى وهي تقدم حلوى الشوكولا مع القهوة.

بقيت نظراته شاخصة إليها. وتذكر مشاعرها المنطلقة على سجيتها، والبهجة التي لا توصف التي شعر بها وهي بين ذراعيه.

كاد يفقد السيطرة على نفسه لشدّة الأحاسيس التي بعثتها في نفسه. لا بدّ أنها أدركت الآن أن انجذابه إليها جاد وليس مجرد نزوة عابرة.

بدت عيناها العسليتان، وكأنهما استحالتا ذهباً سائلاً. كان فمها منفرجاً قليلاً، ولكن لسانها عجز عن التفوه بأي كلمة. وتنفست بسرعة، وخفقت أهدابها وهي تحوّل بصرها عنه لتحدق إلى المائدة.

سألته بصوت أبح: «أتريدمزيداً من القهوة؟».

وكأنما الجلوس بعيداً عنه أصبح لا يطاق، فنهضت ومدت يدها إلى كوبه.

قال بعنف: «لا».

خرجت هذه الكلمة من حلقه بقوة، وكان قد نهض بدوره وأمسك بمعصمها، ثم جذبها لتواجهه.

رفعت نظرها إليه متسائلة، فأخذ قلبه يخفق وهو يعانقها بشوق بينما رفعت يديها إلى كتفيه، لتحيط بعنقه. شدّها إليه، وقد شملت البهجة كيانه لشعوره بأنوثتها الناعمة.

واشتعلت مشاعرهما على الفور، بنار وقودها الشوق والحب وتجاوبها الحار. أراد أن يبقيها بين ذراعيه... لكنها ابتعدت عنه لاهثة.

فهتف: «جينا».

وكان اسمها أنين احتجاج من كل عصب في كيانه.

وضعت راحتها على خده لحظة وقد انبعث الشوق من عينيها:

ـ أشعر بالسعادة لأنك تضمني.

كان قولها أشبه بنداء حورية بحر، تغني في دمه.

وبدت له أجمل من أي امرأة رآها من قبل. فهي أشبه بإحدى الآلهة القدماء مزهوة بجمال يخطف الأنفاس، ما جعل قلب اليكس يكاد يتوقف.

في هذه اللحظات تشابكت نظراتهما، مشحونةً بمشاعر جياشة.

لم يسبق له أن شعر برجولته إلى هذا الحد. عانقها بقوة ليكتشف كل الأحاسيس التي تثيرها فيه.

مررت أصابعها في شعره: «آه اليكس».

دوّت كلمتها في أذنيه فزاد من عناقه، مبتهجاً بعواطفها هذه، متنشقاً عبير شعرها الحريري.

كان يشعر بالسعادة وهو يضمها هكذا... وهذه السعادة هي أفضل ما عرفه في حياته.

تنهدت جينا ثم رفعت رأسها تنظر إليه فبدا على ثغرها ابتسامة ساحرة وفي عينيها تألق السعادة.

قال: «أنا أعشق وجودك معي يا جينا لأنك تتعدين المظاهر الزائفة».

قطبت جبينها لجملته الأخيرة وتمنى هو لو لم يقلها. وسرعان ما تحوّلت أفكاره إلى بيتر أوين فسقطت من بين شفتيه جملة وثيقة الصلة بتلك: «أرجو أن تدركي أن بيتر أوين رجل استغلالي، خصوصاً مع النساء، وأنا لا أريد أن يؤذيك».

أزداد تقطيبها وسألته: «أتعني شخصياً أم مهنياً؟».

عبس لتدخّله، مدركاً أنه نتيجة الغيرة المتملكة التي لا يحبها في نفسه، فقال: «تملكني القلق عندما جاء لزيارتك عصر الأحد

الماضي».

فقالت: «لم أكن أتوقع زيارته، يا اليكس».

ـ ليس عليك أن تبرّري لي. ولكنني أعلم أن بإمكانه أن يكون ساحراً للغاية».

فقالت برزانة: «أعني... أن لا شيء خاص بيننا، لقد جاء ليقترح عليّ بعض الأعمال الغنائية».

لم يستطع أن يمنع نفسه من سؤالها: «هل يهمك أن تستمري في العمل معه؟».

فقالت: «لست أدري. لقد أرجأت الموضوع لأن الوقت لم يكن مناسباً للحديث عن العمل، فماركو كان متعباً بعد النزهة. لكني سأقابل بيتر غداً بعد انتهائي من العمل».

وبدا القلق في عينيها وهي تضيف: «فكرت أن ما من ضرر في سماع ما سيقول».

فقال مطمئناً: «لا ضرر على الإطلاق».

حاول إخفاء انزعاجه من هذه الفكرة بمجملها فبيتر أوين لا يملك أي حس بالأخلاق. لكن من جهة أخرى، إذا صادف نجاحاً في عمله مع جينا، فقد يكفّ يده عنها، خصوصاً إذا أوضحت له أنها لا ترغب فيه.

قال لها: «إذا قدم لك عرضاً للعمل غداً، فتأكدي من أنه عادل معك يا جينا. إن عملت معه، ستستقطبين له جمهوراً كثيراً. إياك أن تقللي من شأن نفسك».

أطلقت ضحكة صغيرة خجلى: «اليكس، إنه المشهور في المهنة، وأنا بالنسبة إليه، مجرد هاوية».

فقال: «لديك صوت رائع، وأنا أفضل أن استمع إليك بدلاً من الاستماع إليه».

ـ شكراً، ولكن...

ـ ليس هناك (لكن).

وأمسك بذقنها وهو يطمئنها إلى ما تستحقه.

ـ عندما غنيتما معاً ليلة السبت كنت أنت النجمة يا جينا. صوتك هو الذي أبهج الجماهير.

فقالت: «أنت متحيز يا أليكس».

ـ إسألي إذن جدتي، فهي ستخبرك. لا تتخذي قرار سريعاً معه. هذا كل ما أقوله لك.

فقالت تعده: «لن أفعل».

لكن عينيها كانتا تتفحصان عينيه بحثاً عن أسباب أخرى تجعله لا يريدها أن تتصل ببيتر أوين، ثم عادت تقول: «أتظن أن عليّ أن أتخذ الغناء مهنة؟».

فأجاب: «القرار عائد لك وحدك يا جينا، أنت أفضل من يعلم بما في قلبك».

لم تقل شيئاً. بدا في عينيها أنها تريده أن يقول المزيد. ولكن ماذا بإمكانه أن يقول أكثر من هذا؟ كان عادلاً قدر إمكانه، ولن يتوسل إليها من أجل مصلحة بيتر أوين. في الواقع، ما كان يريده حقاً هو أن يمحو بيتر أوين من ذهنها حالاً.

عانقته مجدداً وكأنها لا تريد أن تتركه مطلقاً.

فأثارت فيه أحاسيس كثيرة، لم يكن يعتقد أنها موجودة فيه. وأدرك أن مقدار الحنان الذي جعلته يشعر به نحوها، لم تظفر به امرأة قط من قبل.

سألها وهو يتطلع شوقاً إلى نهاية الأسبوع: «هل أنت مشغولة يوم السبت يا جينا؟».

فتنهدت آسفة: «نعم، مع الأسف. علّي أن أغني في عرس بعد

ظهر السبت، وقبل ذلك سآخذ ماركو إلى بيت والديّ».

فسألها: «وماذا عن الأحد؟».

ـ أنا حرة.

ـ هل لك أن تمضيه معي؟

فترددت: «وماركو أيضاً؟».

كان قد نسي وجود الصبي في غرفته الجميلة المزينة، لشدة ما أراد جينا لنفسه. كان يدرك أنها ليست الأم التي تهمل ابنها، هذا إلى أنه يحب ماركو حقاً.

فقال ببساطة وقد خطرت له بعض الأفكار التي يمكن أن تبهج الصبي: «طبعاً. ما رأيك في أن نزور مزارع قصب السكر، ويمكننا أن نتناول الغداء مع مدير المزرعة وزوجته. لديهما ولدان قد يستمتع ماركو باللعب معهما، ما رأيك بذلك؟».

أجابت بسعادة: «يبدو هذا رائعاً».

فابتسم وهو يفكر في النزهة التي سيقومان بها بين حقول القصب.

* * *

١٣ ـ أختي الصغرى

أمالت عمة جينا رأسها وراحت تنظر إليها وهي تختار مكاناً تضع فيه الأزهار التي نسقتها ثم قالت لها: «لمَ أنت سعيدة بهذا الشكل؟ فأنت تغنين ووجهك يتهلل سعادة».

ضحكت جينا لها وهي تعكس سرورها لأنها راغبة ومرغوبة وأجابت: «آه... أشعر فقط أن الحياة تضحك لي».

فرفعت عمتها حاجبها: «هل لهذا علاقة ببيتر أوين؟».

تنهدت جينا وسألتها: «هل ناقشت أنت وأمي الأمر؟».

فأجابت العمة: «آه. أنا أعلم أنك ستقابلينه عصر هذا اليوم، كما أنّ داني قادم ليأخذ ماركو».

قالت جينا بسرعة: «داني سيذهب ليتفرج على السفن في البحر، ففكر باصطحاب ماركو أيضاً».

فقالت العمة: «تاركاً إياك حرة...».

ـ سأتحدث مع بيتر عن العمل بسهولة أكبر لو كنت وحدي. وهذا كل ما في الأمر. حديث فقط.

فقالت العمة وهي تبتسم ابتسامة ماكرة: «آه... ومن يدري إلى ماذا سيقود هذا؟ حان الوقت لكي تفردي جناحيك يا جينا».

ولحسن الحظ، دخل زبون فذهبت عمتها إلى الجهة الأمامية في

المتجر قاطعة هذا الحديث الشخصي، وشعرت جينا بالضيق لهذه الأقاويل التي يتناقلها أفراد الأسرة. إن اهتمام ايزابيلا كينغ بها جعل الألسنة تتكهن وكذلك غناؤها مع بيتر أوين في القصر. لكن هذا لا علاقة له بما تشعر به اليوم...

هل يفترض بها أن تتحدث الآن عن هذه العلاقة الجديدة؟ فهي لا تزال تخشى الكشف عن هذا الأمر رغم أن دعوة اليكس ليوم الأحد أكدت لها أنه استمتع بصحبتها.

ما زالت غير واثقة من مدى انجذابه إليها. ماذا لو كان تأثيرها عليه مؤقتاً؟ وبقي هذا الدافع للاحتفاظ بهذا الجزء من حياتها لها وحدها قوياً، فمعرفتهما القصيرة ببعضهما البعض، لا تعد (علاقة). ربما بعد يوم الأحد...

وصل داني باندفاعه المعتاد ونشاطه.

أحضر ماركو من فناء المتجر الخلفي وحمله على كتفه، وقد بدا الحماس عليهما وهما يستعدان لخوض هذه المغامرة.

بقيت جينا وعمتها مشغولتين بالزبائن بقية الصباح. فقد طلب منهما إرسال أزهار إلى قسم الولادة في «مستشفى كالفاري»، ولطالما أسعد جينا القيام بهذه الخدمات. كانت مشغولة في الغرفة الخلفية باختيار الأزهار وتنسيقها عندما جاءت إليها عمتها بنبأ عاصف: «خطيبة اليكس كينغ تريد أن تراك».

وأخرس الذهول جينا، فقالت عمتها: «نعم، ميشيلا بنكس مصممة الأزياء».

فقالت جينا: «ولكن...».

وسرعان ما أمسكت لسانها عن القول بأن الخطبة قد فسخت. ومع ذلك، إذا كانت ميشيلا تدّعي... أو ربما عمتها افترضت ذلك... وتابعت العمة تقول: «يبدو أن الآنسة بنكس حضرت

العرس ليلة السبت الماضي وتريد أن تناقش معك مسألة أغاني عرسها».

وكانت ابتسامتها تتألق سروراً لشهرة ابنة أخيها المفاجئة.

ـ صوتك أصبح الآن مطلوباً، يا جينا. من الأفضل أن تحافظي على تقدمك هذا.

فقالت وقد عادت تتلعثم مضطربة: «ولكن...».

حيّرها قول ميشيلا، إذ أن عرسها ألغي.

قالت العمة: «لا تهتمي بشأن إرسال الأزهار إلى قسم الولادة. يمكن لهذه المسألة أن تنتظر إلى حين عودتك».

وناولتها حقيبتها ثم أخذت تدفعها أمامها: «إياك أن تفوّتي فرصة الغناء في عرسٍ لآل كينغ».

ترى هل كذب اليكس عليها؟

وأخذ ذهنها يضجّ بأسئلة لا تنتهي، فسارت مرغمة لمواجهة المرأة التي لم يعد من المفترض أن تشكل جزءاً من حياة اليكس بعد الآن، أو أن تدّعي أنها خطيبته.

كانت ميشيلا بنكس تنظر بتكاسل إلى الأزهار المعروضة والمنتقة بشكل يلفت أنظار المارة. وعندما رأتها جينا شعرت بطعنة في قلبها، إذ بدت رائعة في البذلة الحريرية الفضفاضة التي ترتديها والتي تبرز لون عينيها الفاتن وشعرها الذهبي الملون على قمة رأسها، ملفتاً النظر إلى عنقها الطويل ملامح وجهها الكلاسيكية. منحتها ابتسامة استعلاء متغطرسة جعلت جينا تشعر بالانكماش والوضاعة في قميصها الأخضر البسيط.

ثم قالت: «ها أنت!».

تكلمت باقتضاب ونفاد صبر وكأنها أمضت مدة طويلة تبحث عنها، ثم لوّحت بيدها اليسرى بإشارة قانطة وهي تضيف: «لقد

اختفيت من قاعة الرقص قبل أن أستطيع التحدث إليك ليلة السبت».

تسمّرت جينا في مكانها وكأنها رأت شبحاً مع تألق ماسة خاتم الخطوبة في إصبعها. لقد اصطحبها اليكس إلى خارج قاعة الرقص، وعانقها بشكل محموم، وأخبرها أن.... ولكن خاتمه لا يزال في إصبع ميشيلا التي كانت تقول، وقد تملكتها ثقة تامة أن جينا وقعت في الفخ: «أخبرتني مخدومتك أنه بإمكانك مرافقتي إلى الغداء لأناقش معك ترتيبات عرسي. هل نذهب الآن؟»

وتوجهت نحو الباب وهي تردف: «أظن أني رأيت مقهى جميلاً في هذا الشارع».

فتحت ميشيلا الباب، ثم وقفت لتلقي على جينا نظرة متغطرسة. ودّت جينا لو ترفض التزحزح من مكانها فتفشل تمنيات هذه المرأة، لكن رغبتها المؤلمة في أن تكتشف حقيقة الوضع دفعتها إلى الأمام. وعندما خرجت ميشيلا أمامها من الباب لمحت جينا نظرة رضى لامعة في عينيها.

صرّت على أسنانها بسبب موجة الكراهية التي أثارتها فيها وفكرت بعنف في أن أليكس لا يمكن أن يحب هذه المرأة.

هذه المظاهر الزائفة...

لعله ترك الخاتم لميشيلا عندما فسخ الخطبة. ربما... ولكن لماذا جاءت وهي تتحدث عن زواجها به؟ من هو الكاذب منهما، ولأي غرض؟

أخذت ميشيلا تثرثر عن عملها الثنائي مع بيتر أوين وهما تسيران إلى المقهى. ولم تسمع جينا أي كلمة، فقد منعتها مشاعرها المضطربة من أن تركز وتصغي. اختارت ميشيلا مائدة في الزاوية، وسرعان ما أتت النادلة، لكن ميشيلا لم تعبأ بالنظر إلى قائمة الطعام، وطلبت سلطة وقهوة.

وطلبت جينا بشكل آلي سلطة مع البندورة والجبنة، لكنها كانت تشك في أن تتمكن من تناول لقمة واحدة منه. طلبت الطعام لإبعاد النادلة فقط، وما إن توارت هذه حتى أسقطت ميشيلا قناعها الاجتماعي المهذب وألقت على جينا نظرة ساخرة: «أظنكما، أنت وأليكس، ما زلتما تتقابلان».

وفتحت جينا فمها ذاهلة.

فتنهدت ميشيل: «يا لهذه النزوة! أرجو ألا تأخذي الأمر على محمل الجد فسرعان ما سيسأم منك».

سألتها جينا بانفعال وقد دار رأسها لما سمعت: «هل أنت على علم بعلاقتي بأليكس؟».

ضحكت ميشيلا وعيناها ترقصان سخرية وهزلاً ثم أجابت: «طبعاً يا حبيبتي، كان واضحاً تماماً ليلة السبت الماضي أن أليكس لم يستطع أن يكفّ عن ملاحقتك. وبما أنني لا أحب أن يكون معي بينما هو يفكر في امرأة أخرى، طلبت منه أن يذهب إليك لتنتهي من الموضوع»

تقلصت معدة جينا. ما حدث في تلك الليلة لم يكن إذن عفوياً، بل عن سابق تصور وتصميم.

واهتزت إزاء هذا المنطق الذي راحت ميشيلا تجاهد في دسه في ذهنها. لكنها قالت لها متظاهرة بالهدوء: «لكنك... كنت تتوقعين عودته إليك».

فأجابت وهي تهز كتفيها وكأن هذه الخيانة من دون أهمية: «طبعاً فبيننا أمور مشتركة قوية للغاية، لن يضيرها أمر تافه مثل قضاء فترة قصيرة مع شخص آخر».

عندئذ، سألتها جينا: «وهل... تمضين أنت أيضاً أوقات قصيرة مع سواه؟».

هزت كتفيها مرة أخرى وردّت: «نعم، إذا تقرب مني شخص جذاب. في الواقع، عرف أليكس أنني انجذبت إلى شخص آخر ليلة السبت فتكدّر قليلاً لأنه كان يشعر بالإحباط لأنه شعر أن فكرة الخروج معك غير صائبة بما أنك ضيفة جدته. لكنني قلت له إنك امرأة راشدة وتعرفين ماذا تفعلين. لقد افترقنا حالياً فترة قصيرة من الوقت فقط لكي تنجح الأمور».

فسألتها جينا: «لماذا تخبرينني بكل هذا؟».

ألقت عليها نظرة ألم وردّت: «شعرت بأنني أسأت الحكم عليك، واعتقدت أنك أرملة يمكن أن تقنع بأي شيء لكن اليكس غنيمة ممتازة في نظر أيّ امرأة. وخطر لي أنك قد تظنين أن بإمكانك اصطياده، فينتهي الأمر بمشاكل جمة قد تسبب الارتباك والاحراج للجميع».

فقالت جينا: «لذا تريدينني أن أفهم أن المسألة مجرد فترة قصيرة ممتعة سرعان ما تنتهي».

ـ حسناً، فلننظر إلى الأمر بشكل منطقي... ماذا تظنين؟ لا أريد أن أجرحك، ولكن... أنت واليكس كينغ؟؟.

وسخرت عيناها من علاقتهما، ثم تابعت قائلة: «هل أنت حقاً مقتنعة بذلك، يا جينا؟».

وكانت تلك هي العقدة المستعصية والجوهرية في الموضوع كله.

وبقي الخاتم الماسي في إصبع ميشيلا يدمّر جينا.

بعد أن أقنعتها بأن لا مستقبل له معها... انتهى الوقت.

* * *

جلس بيتر أوين في نادي «كورال ريف» يرشف عصيره في انتظار جينا ترليزي. عادة، كان التفكير في أن أليكس كينغ يعبث مع امرأة

غير ميشيلا بنكس يسلّيه، فهذه المرأة المخادعة تستحق ذلك، ولكن جينا ترليزي؟

وهز رأسه، فرغم استخفافه بالنساء، رأى أن جينا مختلفة، فهي مجرد فتاة حلوة، محبة، تكرّس نفسها لطفلها الصغير، وليست من النوع العابث. حتى هو لاحظ ذلك، فماذا حدث لحاسة الإدراك عند اليكس كينغ؟ وقطب بيتر جبينه.

ومع ذلك، من الصعب التشكيك في تفسير ميشيلا فقد رأى أليكس بأم عينيه خارجاً من بيت جينا الأحد الماضي، وقد بدا التوتر عليه وهو يرى بيتر قادماً للزيارة أيضاً. ولا شك في تكدّر ميشيلا الليلة الماضية حين أتت إلى شقته مفرغة غضبها عليه بعد أن رأت سيارة أليكس أمام بيت جينا.

قالت ثائرة: «لقد تجاوز الحد لكنني سأفسد خططه. سأجعلها تعتقد أنه ينتقم مني لأنه رآني معك، يا بيتر».

فكان أن رد عليها بحدّة مهدداً إياها بشكل خطير: «دعيني بعيداً عن ذلك يا ميشيلا».

كانت جينا ترليزي بالنسبة إليه تمثل عملاً جاداً وهو لا يريدها أن تتركه بسبب أمر تافه.

أخذ رشفة أخرى من عصيره، متوعداً ميشيلا في نفسه إذا ما أفسدت التعامل بينه وبين جينا. إنه مصمم على العمل مع تلك الفتاة.. ليس فقط لتحسين عمله ولكن... إذا حصل على منصب مدير القسم الموسيقي في «مسرح غالاكسي» في بريزبين، فيمكنه أن يقدّم للجمهور نجمة جديدة...

لمح جينا متوجهة نحوه، فاستدار على مقعده المرتفع بجانب البار يستقبلها بابتسامة حارة لكي تشعر بالارتياح. لكنها لم تبادله ابتسامته، بل توجهت إليه وكأنها تسير في نومها بوجه جامد وعينين

بليدتين وجسد خال من الحيوية.

فكر بيتر في أن ميشيلا لعبت دورها بإتقان. وشعر، للمرة الأولى في حياته، بخزي بالغ لتورطه ولو من بعيد في ما آل إليه أمرها. إلحاق الأذى بالبراءة أمر فظيع. ونهض من مقعده ليقودها إلى كرسي مريح ويطمئن عليها.

قال: «سأحضر لك شراباً. ماذا تحبين يا جينا؟».

نظرت إليه لدى سماعها اسمها، لكن الصراع للعثور على جواب بدا في عينيها.

قال يعرض عليها، وقد ظن أنها بحاجة إلى شراب مهدىء: «أتريدين قهوة؟».

أومأت بارتياح وهي تقول بصوت أبح: «شكراً».

* * *

اولت جينا أن تتمالك نفسها وهي ترى بيتر يذهب ليحضر لها القهوة. ربما قد يعرض عليها خطوة إيجابية إلى مستقبل حقيقي، وليس أحلاماً، ومن المهم أن تصغي إليه.

أليكس لا يحبه. ولكن ما أهمية ما يفكر فيه اليكس الآن؟

ما ستقرر أن تفعله هي لن يؤثر على حياته. وقررت جينا ألاّ تراه مجدداً مهما بلغت رغبتها في ذلك. لم تكن تعرف أن علاقته بها مجرد نزوة زائلة، وفي هذا عار بالغ لها، ومذلة عميقة.

غلى الغضب في نفسها وهي تتذكر قول اليكس بأن بيتر يستغل للنساء.

ماذا لو كان بيتر يستغل النساء؟ بعد أن تعلمت هذا الدرس المفيد من أليكس، لن تكون من الغباء بحيث تظن أن اهتمامه بها يتجاوز موهبتها الغنائية. حتى أليكس نفسه أقرّ بأن بيتر قد يساعد على

اطلاقها في مهنة الغناء.

ستجرّب حظها، إذا لم يؤثر ذلك كثيراً على أمومتها. على الأقل سيكون لديها ما يشغل فكرها خلال الأيام والأسابيع والسنوات القادمة.

أخذت تنظر إلى بيتر عائداً بالقهوة، شاعرة بالأسى في أعماق روحها. مهما كان عرض بيتر، فهو أفضل من لا شيء، وحدثت نفسها بأن تصغي إليه. إذا قدم لها بيتر عرضاً يناسب ظروفها، ولا يؤثر سلباً على احتياجات ماركو، ستوافق لتعود إلى بيتها بشيء إيجابي تفكر فيه، شيء إيجابي تتطلع إليه.

لقد تبدد حلمها بأن يصبح اليكس كينغ شريك حياتها، ووالد أولادها، ولا يمكنها أن ترى رجلاً آخر يملأ ذلك الدور على الإطلاق.

حان الوقت لتبدأ ببناء حلم آخر.

وضع بيتر القهوة على المائدة ثم جلس على كرسي قبالتها. لم يكن في عينيه أي هزل اليوم، بل بدا أنه ينظر إليها بتعاطف واهتمام. فهل حزنها واضح لهذا الحد؟

قالت فجأة: «هناك أمر واحد أريد أن أوضّحه أولاً، يا بيتر».

كانت تدرك أن هناك شروطاً عليها أن تفرضها إذا أرادت أن ترتاح في العمل معه. وأومأ هو إيجاباً فقالت: «معروف عنك أن تصرفاتك غير لائقة... لذا لا أريدك أن تحاولها معي بأي شكل. نحن سنغني معاً، وهذا كل ما في الأمر».

فتنهد، وقد كسا وجهه تحرر ساخر من الوهم وقال: «طبعاً. علمتني الحياة أنني فاشل في العلاقات الشخصية، لكن العزوبية لا تجذبني هي أيضاً».

واخترق عينيها بنظراته ثم أردف: «لن يحصل ذلك معك يا جينا

أبداً، فذلك سيضرّ بعملنا. وصدقيني، لن أجازف بخسارة صوتك».

هل يمكنها أن تصدقه؟

مال إلى الأمام واتكأ إلى المائدة، باسطاً يديه: «في هذا العمل، يساعد التودّد على المسرح على جذب المستمعين، ولن أتخلى عن ذلك. ولكنني أؤكد لك أننا، إذا عقدنا اتفاقية، وأنا أرجو هذا من كل قلبي، فسأعاملك خارج خشبة المسرح على الدوام كأختي الصغرى. لا أريد أي احتكاك بيننا، أريد أن نعمل معاً بانسجام لكي نبدع ونقدّم أفضل إداء لدينا. إتفقنا؟».

بدا مخلصاً، صادق النوايا.

وكررت قوله (الأخت الصغرى) من دون أن تتمكن حقاً من أن ترى بيتر الخليع في دور أخيها الأكبر.

ولوى فمه ساخراً: «لم يكن لي أسرة قط. وعليك أن تعلميني كيف أتصرف».

فقالت وهي عاجزة عن تصور ذلك: «ليس لك أسرة».

ردّ ضاحكاً: «أنا مجرد ولد يتيم يشق طريقه في هذا العالم».

وتلاشت ضحكته وهو يضيف: «تعلمت كيف أحافظ على مصلحتي. وها أنت تأتين تحت هذه المظلة، يا جينا. لن أسبب لك أي حزن. في الواقع، سأكون أول من يقف بينك وبين أي شيء قد يؤثر سلباً على إدائك».

كان يقول لها بطريقة أخرى إنه مغنٍّ محترف ونجاح الثنائي الذي سيشكلانه في الغناء هو أول اهتماماته.

وتمتمت شاكرة: «حسناً، ما هو مشروعك؟».

فشرح لها الأمر.

وأعجبها ذلك.

كان سهلاً عليها أن توافق.
وشعرت بالارتياح لأنه اصبح لديها ما تتطلع إليه.
* * *

١٤ ـ سقط القناع

كان داني يأكل مع ماركو حين عادت جينا من اجتماعها مع بيتر. هذا التفاهم الحقيقي بين الولد والخال ذكر جينا بأن ماركو لديه أقارب من الرجال بما فيه الكفاية لكي يحلوا مكان الأب الذي يحتاجه. إخوتها، أبوها، أسرة أنجيلو... من المؤكد أن ابنها ليس محروماً من اهتمام الرجال به.

سألت ابنها، وقد أفلحت في إظهار ابتسامة اهتمام: «كيف وجدت سباق الزوارق؟».

فأجاب ماركو على الفور: «كان مسلياً يا ماما».

وقال داني: «بكل تأكيد، أظنني سأضع إصبعي في ذلك العمل السياحي».

فسألته: «أليس خطراً؟».

ـ لا. إنهم يشغّلونها بشكل جيد في نهر تولي.

وأشار داني إلى الطعام المتبقي في صحنه، قائلاً: «هذا أطيب من طعام أمي».

فأجابت: «الوصفة مختلفة».

رغم بلوغه الرابعة والعشرين من عمره، ما زال صبياً، لكنه

www.elromancia.com

جذاب للغاية بشعره الأشقر وعينيه البنيتين اللامعتين اللتين غمزتاها مداعبة: «هل طهيته من أجل اليكس كينغ؟».

جمدت جينا مكانها. أصبح ذكر اسم اليكس كينغ بغيضاً الآن بالنسبة إليها.

وتابع يقول: «هيا، لا تنكري. قال ماركو إنه كان هنا الليلة الماضية وقرأ له حكاية قبل النوم».

فأجابت بجمود، إذ كان مستحيلاً أن تنكر وجوده في حضور ماركو: «جاء لزيارتنا، لأني نسيت بعض الأغراض في القصر. وأنت تعلم أن ماركو يتمسك بكل شخص لكي يقرأ له الحكاية. وكان اليكس من اللطف بحيث تكرم بذلك».

قال داني يثيرها: «وتنادينه أليكس، أليس كذلك؟».

فردت: «دعَك من هذا يا داني، إنه خطيب ميشيلا بنكس».

هز كتفيه: «لكنه ليس زوجها. حالات كهذه كثيراً ما تتغير».

ـ هذا غير محتمل، والآن، إذا لم يكن لديك مانع...

ـ لا بأس، لا بأس، والآن ماذا حدث مع بيتر أوين؟.

فأجابت: «لدي عمل معه في «كورال ريف لونج» غداً مساء».

فصفر وقال: «كان هذا سريعاً».

فقالت: «نعم، وهذا يعني أن علي أن أستعد الليلة».

ـ أنا ذاهب!

ووقف، ثم عبث بشعر ماركو أثناء مروره به: «كن طيباً مع ماما».

وألقى عليها نظرة عطف أخوية ثم قال: «اسحري الجميع ليلة غد، أما أنا فسأكون مشغولاً بسباق ضفادع القصب. ولهذا لن أكون موجوداً لأهتف وأهلل لك، لكنني سأفكر فيك».

فقالت: «شكراً يا داني، وشكراً على عونك اليوم أيضاً».

ـ ما من مشكلة. أنا وماركو رفيقان.

وغادر المنزل بعد مزاحه هذا بينما اسقطت هي من حسابها زيارة اليكس كينغ، فهي غير هامة. وشعرت بالارتياح، إذ عليها أن تغلق بابها على كل مشاعرها الغادرة نحو اليكس، وتدعي أن كل تلك المشاعر بينهما لم تحدث أبداً.

لكن التصميم على هذا أسهل بكثير من تنفيذه.

ومع ذلك، تمكّنت جينا بفضل عزيمتها القوية، من أن تشغل نفسها في الساعتين التاليتين. راحت تجهّز ملابسها وملابس ماركو للغد، ووضعت ابنها في فراشه، واتصلت بأمها وعمتها اللتين سرتهما أخبار اتفاقها مع بيتر أوين.

أصرت عمتها على أن يمكث ماركو معها ليلة غد، ما دامت أمها ستأخذه ليلة السبت. وتملك جينا شعور بالغ بالذنب لتشتت ابنها بين أفراد الأسرة أثناء ملاحقتها مصالحها الخاصة، ولكن لن يصيبه أي ضرر بين أناس يحبونه.

كانت لا تزال تخفف من تأنيب ضميرها عندما رن جرس الهاتف. لا شك أن أمها نسيت أن تقول لها شيئاً أو تسديها نصيحة.

رفعت السماعة بضعف، متأهبة لسماع المزيد من الحماسة بالنسبة لأول ظهور لها على المسرح، وليس في عرس.

وقالت: «مرحباً! ماذا نسيت؟».

وهبط قلبها المثقل وهي تسمع: «جينا...».

إنه صوت اليكس!

أغمضت عينيها، محاولة التخلص من المشاعر التي خالجتها، وتابع يقول: «كنت أفكر فيك طوال النهار...».

أنا أيضاً...

كما اندفع إلى ذهنها بحدة، وإن لم يكن بنفس السرور الذي حدثها به صوته. وأخذ قلبها يخفق بألم سرعان ما تحوّل إلى غضب بينما استمر هو يقول: «لا أريد أن أنتظر إلى الأحد، كنت أتساءل عما إذا لديك وقت فراغ ليلة غد».

ما زال مستمراً بلعبته الدنيئة وصرفت بأسنانها للمرارة التي شعرت بها.

فقالت بحدة: «لا. أنا مشغولة يا اليكس، لقد عقدت اتفاقية... مع بيتر أوين».

أرادته أن يعلم أن الحياة تستمر من دونه.

وسكت لحظة ثم تنهد: «إذن، فقد أعجبك ما عرضه عليك».

ـ حسناً، دعني أفسر الأمر بهذا الشكل، أنا أعرف مكاني من بيتر، لكنني لا أعرفه معك، يا أليكس.

لهجتها الحادة جعلته يسكت مفكراً مدة أطول، ثم أجابها بلهجة حائرة متوترة: «ماذا تعنين، يا جينا؟».

فأجابت: «لقد زارتني خطيبتك اليوم».

فقال بحدة: «سبق وأخبرتك أنها لم تعد خطيبتي».

ـ لكنها تلبس خاتمك يا أليكس.

شتم بصوت خافت: «تركته لها. ما دمت أنا من أنهى الخطوبة... بدا لي من غير اللائق أن أطالبها به».

من غير اللائق...؟

وثار غضبها فسألته: «وهل من اللائق أن تتحدث معها عن نزوتك معي؟».

فقال: «هل قالت لك هذا؟».

تكلم بصوت تملكته الصدمة... وفكرت جينا بأنه تفاجأ

لانكشاف لعبته دون شك، فازداد غضبها: «نعم، تحدثت عن افتتانها برجل آخر ليلة السبت تلك. وكيف أن تلك التصرفات لا تعني شيئاً بالنسبة إلى علاقتكما المتينة... تصرف بسيط من ناحيتها... تصرف بسيط من ناحيتك...».

فصرخ مرعداً: «تلك السافلة!».

لكن جينا حدّثت نفسها بأن ذلك مجرد صراخ... لا شيء سوى صراخ للتمويه.

فقالت بهدوء: «لم تكن في الواقع سافلة على الإطلاق، بل شهامة منها في الواقع أن تخبرني الحقيقة فتمنعني بذلك من الانجرار وراء أحلام وآمال حمقاء قد تربك الجميع. من المؤسف أنك لم تكن أكثر منها نزاهة وصدقاً، يا اليكس».

فهتف: «نزاهة وصدقاً؟ ميشيلا لا تعرف معنى النزاهة أو الصدق ولو تعثرت بهما».

ـ سيكون زواجكما زواجاً رائعاً».

سألها: «أتظنين أن هذا ما أريده؟».

فأجابت: «لا أدري، لا أدري شيئاً عن حياتك أو ماذا تريد منها، ودعني أصارحك الآن وهنا بأنني لم أعد أشعر بشيء نحوك، وليس لدي وقت أخصصه لك، لا ليلة غد ولا في أي ليلة أخرى».

فهتف: «جينا. إنها تكذب... تتحايل عليك...».

ـ ولأي غرض يا اليكس؟.

فأجب بحرارة: «الله وحده يعلم، ربما بدافع الحقد والغيظ لأنني فضّلتك عليها».

ـ فضلتني عليها لفترة قصيرة قبل أن تعود إليها.

فأجاب بحدة زائدة: «غير صحيح».

سألته ساخرة: «وتنوي أن تبقى على اتصال بي إلى أن تزول

www.elromancia.com

نزوتك؟».

أخذ نفساً سريعاً وقال بلهجة متوترة: «صدقيني. إنني معجب بمهارة ميشيلا في الإقناع عندما تريد تحقيق أهدافها. بقيت فترة طويلة تمثل دوراً يجعلها أمامي غاية في الجاذبية، ولكن القناع سقط عن وجهها... علاقتنا انتهت الآن يا جينا، لعلها تفكر في أن تعيدني إليها إذا ما تخلصت منك، لكنها لن تستطيع. لقد استغلّت الخاتم لكي تغطي الحقيقة بأكاذيبها».

فقالت متحدية: «بل هي حقائق لا سبيل إلى إنكارها».

عندئذ، ردّ بعنف: «حقائق ميشيلا وليست حقائقي».

ـ حسناً، لِمَ لا تذهب إليها وتصفي الحساب معها؟ ولا يهمني ما سينتهي إليه الأمر بينكما، وأشكرك كثيراً.

ـ آسف لوقوعك في الشرك يا جينا، لكن ذلك ليس بسببي. وسأصفي حتماً الحساب بيني وبين ميشيلا.

فقالت: «ليتنا لم نعرف بعضنا بعضاً، لم أشعر من قبل بأنني... بأنني من اللاتي يستغلهن الرجال ثم يطرحونهن جانباً».

ـ لا تقولي ذلك، لأنه غير صحيح.

فقالت: «الحقيقة هي... أنك دخلت حياتي بسرعة جعلتني لا أصدق أي شيء آخر. أرملة من أحياء مدينة «كيرنس»... وأليكس كينغ... (الغنيمة)... هذا ما سمتك به ميشيلا، وهي محقة، وماذا يريد رجل في مركزك مني سوى...».

فقاطعها: «يريد امرأة لها قلب، يا جينا، وهذا شيء لم تكن ميشيلا تملكه إطلاقاً».

ـ إذا لم تكن سعيداً معها، فابحث لنفسك إذن عن امرأة لديها كل متطلباتك. وداعاً يا اليكس.

فهتف: «انتظري!».

لكنها كانت قد أبعدت السماعة عن أذنها، ومع ذلك وصل صوته إليها عالياً صافياً فجعلها تتردد لحظة. كان لانجذابها نحوه قوة كادت تقضي على شعور التعقل لديها، لكن ما عانته اليوم أقام حاجزاً بينهما فما كان منها إلاّ أن وضعت السماعة بانفعال وحزم قاطعة كل اتصال بينهما.

وقبل أن تخلد إلى الفراش أخذت دواء منوّماً محدثة نفسها بأنها بحاجة إلى راحة تامة إذا شاءت أن تغني بشكل جيد ليلة غد. لكن الحبة لم تؤثر عليها بسرعة، وبقيت مدة طويلة مستلقية في الظلام، وذكرى اليكس أقوى من أن تستطيع نسيانها. مظاهر زائفة...

عذبها ما عنته هذه الجملة الصغيرة.

وخاتم الخطبة الماسي هو واحد من هذه المظاهر. لعل ميشيلا كذبت للتخلص من أي تهديد يعترض طموحها. ودّت جينا أن تقتنع بأن اليكس صادق من هذه الناحية على الأقل، رغم أنها شعرت بأن مجيئه إليها لم يكن سوى ردة فعل على عبث ميشيلا مع رجل آخر.

قد يكون الفرق بينها وبين ميشيلا أنها كما قال امرأة ذات قلب... لكن الأمور الأخرى على القدر نفسه من الأهمية لنجاح أي علاقة. كانت جينا تعلم أنها ليست من مستواه الاجتماعي، ورغم لطفه مع ماركو، إلا إنه ليس ابنه. وآل كينغ لهم سلالتهم الخاصة، وإذا ما تزوّجوا فهم يريدون أولاداً من دمهم.

وأن تحلم بخلاف ذلك هو جنون محض.

عليها أن تشغل ذهنها بأمر آخر... بالأغاني التي ستغنيها ليلة الغد. كانت الأغاني كلها غرامية... ذكريات... آمال... حنين

وأشواق... خسارة وضياع، وسيسهل عليها أن تعكس شعورها الخاص، كما أخذت تفكر ساخرة مكتئبة.

الموسيقى فقط تعبّر عنها، موسيقى الليل...

* * *

١٥ ـ في مكان ما

كان نادي «كورال ريف لونج» جاهزاً حسب رغبة بيتر اوين، وقد أعلن عن هذه الليلة الخاصة بالراديو هذا الصباح، ووضع الإعلانات في الطرق لتلفت انتباه المارة. وجاء التجاوب أفضل مما كان يرجو. وصف جينا ترليزي بأنها نجمة المستقبل، وتمنّى ألاّ تصاب بنوبة من توتر الأعصاب في غرفة الملابس. لقد أمضيا معظم فترة بعد الظهر في التدريب، وكانت جينا متلهفة لتأدية أغانيها أمام الجماهير بكل ما في صوتها من قوة. والآن، وهي ترتدي ثوبها البرونزي الذي ارتدته أثناء غنائها في العرس الأسبوع الماضي، بدت نجمة بكل ما للكلمة من معنى. المشكلة أن بيتر لم يعرف ما إذا كان عليه أن يخبرها أن أسرة كينغ موجودة في الصالة. وأن أليكس يبدو رائعاً بقدر ما هو متوتر ومتقلب المزاج.

هل هذا سيمنع جينا من الغناء أم سيدفعها للإبداع؟

لكن، ربما إذا أصبحت على خشبة المسرح تحت الأضواء لن تراهم. ربما من الأفضل أن يدعها تركز على أغنياتها... ولكن، إن عرفت أن أليكس هنا، ربما ستفعل ما بوسعها لتريه أن بإمكانها أن تكون نجمة بمجهودها الخاص، فيأتي إداؤها بالأعاجيب.

* * *

www.elromancia.com

نظر اليكس كينغ إلى ساعته مرة أخرى. الوقت يمرّ ببطء. من المقرر أن تظهر جينا على المسرح عند الساعة التاسعة، وهناك ست دقائق تفصله عن الموعد. كان بيتر اوين يعزف على البيانو، ويطرب آذان المستمعين، لكن اليكس عجز عن تقدير موهبة هذا الرجل في هذه الظروف، فكل تفكيره كان مركّزاً على جينا التي جاء من أجلها.

إنه هنا من أجلها، وقد جرّ كل أفراد أسرته في إثره لكي يروا تلك التي سرقت قلبه. بدا واضحاً أنّ قلبه ليس عند ميشيلا بنكس. فبالنسبة إليه، لم يعد لميشيلا وجود. قال لها ذلك بصراحة الليلة الماضية، وهددها باللجوء إلى القضاء إذا استمرت في استغلال خاتمه وادّعت مرة أخرى أنها خطيبته. غضبه بسبب تلك الخدعة زاد من توتر أعصابه وهو ينتظر ظهور جينا.

عليها أن تدرك أنه لا يعتبرها مجرد نزوة تافهة، ولن يعاملها على هذا الأساس، بل سيقدمها إلى أخويه، ويحرص على أن تفهم أن جدته تعلم بعلاقتهما وهي موافقة عليها. وهذا التصرف الصريح سيكون له تأثيره حتماً على الشكوك اللااخلاقية التي غرستها ميشيلا في ذهنها.

* * *

جلست ايزابيلا ڤاليري كينغ براحة تامة، تستمع إلى إداء بيتر أوين الأخاذ. إنه عازف ممتاز حقاً، وهي تتطلع بشوق إلى الأداء الذي سيقدمه مع جينا ترليزي، رغم أن الجزء الأكثر أهمية من هذه السهرة سيأتي، طبعاً، بعد الأداء.

كانت تعي جيداً توتر اليكس، وفضول حفيديها الآخرين. فقد طلب أليكس منهما أن يساندا في مسألة شخصية، وهذا أمر غير عادي، وباقة الورود الحمراء التي أحضرها معه أذهلتهما.

وبالرغم من أن انطونيو وماتيو سمعا غناء جينا في الأسبوع

الماضي، إلاّ أن أي منهما لم يكن يعلم بالعلاقة التي نشأت بين مغنية العرس وأخيهما. وخبر فسخ خطوبة أخيهما وقع عليهما وقع الصاعقة ولا بدّ أن هذه الليلة ستكون بالغة الأهمية بالنسبة إليهم جميعاً.

أما ايزابيلا فتملكها سرور بالغ عندما علمت أن ميشيلا بنكس فقدت أيّ فرصة للعودة إلى أحضان أليساندرو. وتدخلها الحقود أمس بين جينا واليساندرو منح ايزابيلا حق إبداء رأيها في هذا الأمر، كما ألهب في اليساندرو مشاعر كثيرة للغاية، ولم تستطع ايزابيلا إلا أن ترجو أن يكون اختيارها لجينا عملاً صائباً.

ماذا لو اقتنعت جينا بأن تتخذ الغناء مهنة لها؟ هل ستبقى زوجة جيدة لأليساندرو؟

الزواج... الأولاد... الأمر ما زال مقلقاً، ولكنه ليس كما كان أثناء وجود ميشيلا بنكس.

* * *

وقفت جينا إلى جانب المسرح تنتظر إشارة بيتر. أخذت نفساً عميقاً، محاولة أن تهدىء ارتجافها وتوتر أعصابها. كان والداها بين المستمعين، كما حضر أخوها الأكبر وزوجته. الأسرة بأكملها كانت متحمسة لهذا الحظ الذي صادفها فصممت على أن تجعلهم مزهوين بغنائها الليلة. يجب ألاّ ترتكب أخطاء... أو تغني من دون انفعال أو تعبير... عليها أن تركّز قدر المستطاع على أدائها.

علا التصفيق عندما انتهى بيتر من عزف مقطوعته الأخيرة فوقف وانحنى، ثم سار إلى ستارة المسرح وفي يده الميكروفون، استعداداً للإعلان عن نجمة المستقبل. مدّ يده إليها، وبابتسامة مشجّعة دعاها إلى المسرح. وبالرغم من أن قلبها كان يخفق بسرعة، إلا أنها استطاعت أن تصل إلى جانبه بدون أي صعوبة فوضع يده حول

خصرها فيما علت موجة من التصفيق من كل حدب وصوب.

همس في أذنها: «إيزابيلا كينغ هنا مع أحفادها الثلاثة».

أليكس... مع أسرته؟

وقال لها: «هذا سند قوي لنا، يا جينا. حظاً سعيداً».

هذا التمني بالكاد اخترق الصدمة التي أدارت رأسها. لم تكن تتوقع أبداً مثل هذا التصرف من اليكس... مثل هذا التصرف أمام الناس! ماذا يعني هذا؟ أم أن ايزابيلا كينغ هي التي أمرت أحفادها بالحضور إلى هنا؟ ولكن لماذا؟.

لماذا؟

وأعلن بيتر: «إحدى أعظم المسرحيات الموسيقية في عصرنا الحديث، مسرحية (قصة الحي الغربي) وهي أجمل ما يسعنا افتتاح برنامجنا به».

ـ سيداتي سادتي، نقدم إليكم... ثنائي «ماريا و طوني» من مسرحية «قصة الحي الغربي».

يا إلهي كيف تهدىء قلبها المضطرب!

عليها، بأي شكل، أن تتخطى هذا كله. عاد بيتر إلى البيانو بعد أن اعطاها الميكروفون. إنها اللحظة التي تفرق بين المحترف والهاوي. يجب أن تنجح في العرض، بغض النظر عن وجود اليكس وأسرة كينغ. فأسرتها موجودة أيضاً في الصالة وتريدها أن تنجح.

لتتظاهر بأنها ماريا في هذه المسرحية، هذه النسخة العصرية من «روميو وجوليت».

ولتتظاهر بأن اليكس هو طوني حبيب ماريا.

لتتظاهر بأنهما تعارفا لتوهما. وكان ذلك رائعاً... حلماً يتحقق... قبل أن يتحطم.

قام بيتر بعزف المقدمة الموسيقية، ولم يكن على جينا أن

تتظاهر. بل أن تتذكر شعورها نحو اليكس، فسكبت كل تلك المشاعر في صوتها وهي ترفعه بالغناء ليحلّق عالياً إلى حيث موطن الفرح.

ونجحت.

وكانت ممتازة.

بل أكثر من ممتازة نظراً لتجاوب الجمهور الشديد.

بعدئذ، ابتدأت تغني مع بيتر (كل سؤالي هو عنك) من (شبح الأوبرا) ثم أغنيتين مؤثرتين من (البؤساء) هما أغنية (وحدي) و (قليلاً من المطر). وساد في القاعة سكون تام، وهو تعبير عن كامل التقدير لكلمات الأغنية المؤثرة لكيفية التعبير عنها. حتى جينا نفسها أدركت أن صوتها لم يسبق أن كان بمثل هذه القوة والصدق من قبل.

لعل السبب هو وجود اليكس، أو لعلها تحاول أن تثبت لنفسها أن إيمان بيتر بصوتها في محله. أياً يكن السبب، كانت تعلم بأنها تمثل أحداث حياتها في البرنامج الذي وضعه بيتر. آخر أغنية منفردة لها كانت (الحب يغيّر كل شيء) من مسرحية (مظاهر الحب)، وجاءت خاتمة رائعة للعرض. فنهض المستمعون وراحوا يصفقون ويهتفون (براڤو).

ضحك بيتر لها وهو ينتظر أن تهمد حماسة الجمهور. كان مبتهجاً بنجاحه، وأخذ يخاطب الحضور: «سيداتي سادتي، شكراً لكم، لكي نكمل برنامجنا الاستثنائي الليلة، سنؤدي أغنية تعكس ما نريده من الحياة، واسمها (في مكان ما). ذلك المكان الخيالي حيث تتحقق الأحلام المستحيلة. لذا، أودّ أن أدعوكم لأن تنضموا الينا، أنا وجينا ترليزي، في رحلة سحرية تأخذنا إلى... (مكان ما)...».

كانت السرعة التي صمت فيها المستمعون مدهشة فبدأ بيتر يدندن الكلمات بصوت خفيض أبح يفيض بالمشاعر. شعرت جينا بغصة،

فاضطرت إلى ابتلاع ريقها بصعوبة قبل أن تشاركه الغناء وتردد صدى حنينه وشوقه. ورافقهما العزف على البيانو، فغنيا معاً، في انسجام بهيج.

وبعد لحظات انقطع كل صوت، وكأن كل شخص من المستمعين وقع تحت تأثير كلمات هذه الأغنية التي تسلب القلب فلم يشأ أن يتركها. لكنها انتهت. والعرض كله انتهى.

شخص واحد صفّق فأثار عاصفة من التصفيق. ونهض بيتر وابتعد عن البيانو ثم انضم إلى جينا في وسط خشبة المسرح. كانت أمواج السرور تغمرهما وهتف الجمهور يطلب الإعادة، ولكن لم يكن لديهما ما يقدمونه الليلة أكثر من ذلك.

تمتم بيتر: «ابتسمي فقط وانحني قليلاً».

فهمست: «هل الأمر دوماً هكذا؟».

ـ لا. لكنك كنت متألقة. ويبدو أن هذا رأي اليكس كينغ أيضاً، تقبلي الهدية بكياسة ورقة يا جينا. أنت تقدمين عرضاً.

ـ هدية؟

كانت قد ابتدأت تبحث عن والديها بين المستمعين، متجنبة النظر إلى آل كينغ كيلا تبدو وكأنها تطلب منهم شيئاً. قفز قلبها لما قاله بيتر، وقبل أن تتمكن من السيطرة على مشاعرها، وقعت عيناها على الرجل الذي لم يكن لديه ما يجعله يتقدم منها. إلا إذا... إلا إذا... أتراها، في يأسها، أساءت تقدير الوضع بينهما؟

كان يرتدي بذلة السهرة الرسمية السوداء... بدا طويلاً مسيطراً فائق الوسامة. وتماماً كما حدث في قاعة الرقص في القصر، راح الناس يفسحون له الطريق بشكل آلي ليصل إلى خشبة المسرح. إنها تشعر بوجوده المسيطر يتقدم نحوها، فيعتصر قلبها، ويرسل وهناً ورجفة في ساقيها. لم تستطع أن تحمل نفسها على النظر في عينيه

مباشرة، بينما تملكها الخوف من أن تصدق أن الأمور بينهما ستعود إلى سابق عهدها، فركّزت نظراتها على باقة الأزهار التي يحملها بين ذراعيه. الهدية... إنها رمز التقدير والإعجاب الذي يقدمه الناس إلى المغني في نهاية العرض. ولكن لا بد أنه فكر في ذلك مسبقاً، لا بد أنه توقع... توقع ماذا؟

أن أداءها سيستحق ذلك؟

أم أنه ينوي استغلال هذه الفرصة ليتقرب منها مجدداً؟

وعندما ارتقى السلم الجانبي المؤدي إلى المسرح، رأت أنه يحمل إليها وروداً... مجموعة ضخمة من الورود الحمراء المغلفة بالساتان الذهبي والأحمر!

دار رأسها بأفكار محمومة. أترى اليكس فكر في أن الورود الحمراء مناسبة لأغاني الحب التي غنتها مع بيتر، أم أنها رسالة شخصية منه إليها؟ (الحب يغير كل شيء) كلمات تلك الأغنية صحيحة من نواح كثيرة، ولكن عليها ألاّ تتأمل وتحلم كثيراً.

(هناك وقت ومكان لنا في مكان ما...) كان ذلك أملاً... حلماً. والمستحيل يبقى مستحيلاً، عليها أن تتقبل الهدية بكياسة ورقة، وهذا كل ما في الأمر.

ابتسامة... إيماءة شكر، فهي على المسرح. لا حاجة بها إلى النظر مباشرة في عيني اليكس، فهي لا تريده أن يرى ما قد تعكسه عيناها.

قال اليكس بصوت رقيق عميق وهو يقدم لها الورود: «هذه لك».

فابتسمت وأومأت شاكرة: «إنها جميلة. شكراً».

تمتمت بذلك وقد ركزت عينيها على الورود التي قدّمها إليها.

فقال برقة: «هل لي أن أدعوكما، إلى مائدتنا؟ جدتي تريد أن

تهنئكما شخصياً على إدائكما الرائع».

فرد بيتر: «نرحب بكل ما تطلبه إيزابيلا. لطالما كنت معجباً بحسن تقديرها وحكمها على الناس، ومن المؤكد أنها أحسنت الحكم على جينا. أرجو منكما أن تنتظراني لحظة ريثما انتهي من توديع المستمعين».

قال اليكس: «طبعاً».

وتوجّه بيتر إلى المايكروفون ثم قال: «شكراً، سيداتي سادتي وتصبحون على خير. نرجو أن نراكم هنا مرة أخرى ليلة الجمعة القادمة لاستعادة كل هذه الأغنيات الجميلة».

أضاف هذا بتلك اللمسة من الوعد الماكر التي يحسنها، فتصاعد الضحك وازداد التصفيق. بعد ذلك، تأبط بيتر ذراع جينا وأشار إلى اليكس ليقودهما ثم تبعاه إلى القاعة.

تمتم بيتر في أذنها: «هل تريد أختي الصغيرة حماية من الذئب الكبير؟ يمكنني أن أتدخل من أجلك».

نظرت إليه مجفلة، فلوى شفتيه ساخراً: «أليكس كينغ لم يحضر إلى هنا ليمنحك وساماً، يا فتاتي العزيزة».

فسألته: «ماذا إذن؟».

ـ ليفوز بك. هل أنت مستعدة لذلك؟

فردّت: «لا أدري. هذا يعتمد على...».

قاطعها وكأنه يغني من مسرحية «سيدتي الجميلة»: «هل أتنحى جانباً لأدع له الفرصة؟».

فقالت باندفاع عنيف: «نعم».

عندئذ، قال بلهجة حادة: «تذكري فقط أنك انسانة رائعة، فلا تقللي من شأنك».

تحيّرت وهي تسمع الكلمات التي سبق أنّ حذّرها به اليكس من

بيتر أوين، تأتي الآن من فم بيتر وتشير إلى اهتمام اليكس بها. من الواضح أن بيتر تكهن بشيء ما عندما رأى أليكس قرب منزلها يوم الأحد الماضي.

نظرت إلى باقة الأزهار وفكرت في أن ثمن هذه الباقة الضخمة قد لا يعني الكثير بالنسبة إلى اليكس كينغ. ولكن بالنسبة إليها يعني أنه لا يقلل من شأنها. ولكن أتراه يحاول أن يشتريها؟ أو أن يفوز بقلبها؟

قد يكون هذا ضعفاً فظيعاً منها، ولكن... ورفعت بصرها إلى الرجل الذي يقودهما نحو المائدة حيث أسرته مجتمعة، وتشوّقت إلى أن تلمسه وأن تخلل شعره بأصابعها، وأن تضيع في رجولته القوية التي تفيض من كل خلية في جسده الرائع.

* * *

١٦ ـ الحب يغير كل شيء

لن تنظر إليه.

أخذ اليكس يقدمها إلى أفراد أسرته، فتجاوبوا معها بشكل يدعو إلى الإعجاب. قالت جدته كل ما هو صواب وحق، وكان على جينا أن تعلم أنه لا ينوي أن يخفي علاقته بها. كان عليها أن تعلم ذلك، لكنها لم تستطع النظر إليه.

وضعت وروده على المائدة، ويداها ترتجفان، كاشفتين عن اضطراب داخلي بدا متلهفاً إلى تخفيفه. وقالت تخاطب الجدة: «هل لك أن تعذريني، يا سيدة كينغ؟ إن أسرتي هنا...».

أرادت الابتعاد، فورودة لم تكن تعني لها شيئاً. وهي لن تحتفظ بها. لم يحضرها إلى هنا سوى احترامها لجدته...

وتملكته رغبة عنيفة في أن يمسك بها، ويمنعها من أن تهرب منه، أن يحملها إلى مكان يكونان فيه وحيدين، إلى حيث يمكنه أن...

وسارعت جدته تقول: «أسرتك؟ أود التعرف إليها. أرجوك يا اليساندرو، إسأل إن كان بالإمكان أن ينضموا إلينا».

فهتف: «طبعاً».

كان شاكراً لهذه الفكرة البناءة، فلقاء أسرتها خطوة حسن، ومن

الأفضل أن يخطوها في الحال. وبهذا تصبح جينا مرغمة على الاعتراف به وعلى تقديمه إلى أقرب الناس إليها، وهذا يشكّل علاقة لا يمكنها إنكارها.

فقالت جينا للجدة: «شكراً».

ثم ترددت قبل أن تضيف: «أنا لست واثقة...».

وعلى الفور، تأبط اليكس ذراعها، قائلاً: «دعينا نسألهم».

وكان بهذا يحرمها من فرصة الرفض نيابة عنهم.

وقفت لحظة طويلة من دون حراك، تحدق بذراعيهما المتشابكين. ما زالت لا تنظر إليه، وقد بدا العزم على وجهها. خطر له أنها تقول في سرّها (حسناً، فلنر كيف سيتصرف إزاء هذا الأمر). وكان أليكس مصمماً على مواجهة أي عقبة تضعها في طريقه.

أثناء الدقائق القليلة التالية، ركز جهوده على الفوز بمودة أسرة «سالڤاتوري» المؤلفة من والدي جينا فرانك وإلينا، وأخيها الأكبر وزوجته تيسّا. وقد بدا الذهول عليهم جميعاً لاهتمامه الشخصي بجينا.

تملكه ارتياح بالغ عندما استجابوا بامتنان لدعوته، مسرورين لانضمامهم إلى ايزابيلا ڤاليري كينغ. وهذا يعني أنه لم يعد لدى جينا عذر لتتجنب صحبته.

ومع ذلك، كان يعي بدقة وجود حواجز عقلية وعاطفية بينهما، وحواجز قوية من الكبرياء، والمذلة، وجروح غير ملتئمة بحاجة إلى عناية سريعة.

يمكنه أن يعتمد على جدته في لعب دور المضيفة الرقيقة العطوف لآل سالڤاتوري. وعلى أخويه في الترحيب بهم، حتى أن بإمكانه الاعتماد على بيتر أوين في الاحتفاء بهم. أرغمته اللياقة على الانتظار إلى أن يتم التعارف، لكنه لم يعد يحتمل أن يجلس متظاهراً

بالاسترخاء في مثل هذا الوضع.

كان لا يزال يتأبطاً ذراع جينا.

مال برأسه نحوها مفرغاً كل قوة إرادته وهو يأمرها بصوت هادىء: «تعالي معي».

لم تجب.

ولم ينتظر هو منها جواباً، بل قال لبقية الجالسين: «أرجو أن تعذرونا، سأعيد جينا حالاً».

أخذها بسرعة من بين الجالسين وتوجّه بها إلى الباب المؤدي إلى الشرفة وراح قلبه يخفق عندما رافقته من دون أي مقاومة، تشنّجت أصابعها في قبضته... وتبعته.

كانت الشرفة تطل على النهر، حيث صفوف السفن على مدّ النظر، مراكب أسرة ترليزي لصيد السمك بينها من دون شك، وهي مراكب ساعدت أسرته في تمويلها. ذكّره هذا بأن جينا تخجل جداً من هذه الأمور، وتعتبر نفسها غير مناسبة له، لكن هذا هراء بالنسبة إليه.

عليه أن يتعقّل ليفوز بهذه المرأة وألاّ يتصرف مدفوعاً بعواطفه المحمومة. ومع ذلك، لم يستطع المقاومة فأخذها بين ذراعيه، وتغلبت رغبته في احتضانها على كل ما قرره.

قال: «أنظري إلي بحق الله، يا جينا! لا أدري ماذا أفعل لكي أثبت لك أن ميشيلا كاذبة».

وأخيراً، رفعت بصرها إليه، وقد أظلمت عيناها الذهبيتان بشكل لم يعهده من قبل، أظلمتا لشدة عذابها مما طعن قلبه في الصميم.

قالت له: «وهل هذا مهم حقاً يا أليكس؟».

فأجاب: «نعم. إنه مهم».

سألته: «هل لأن نزوتك لم تنتهِ بعد؟».

ضغطت بيدها على صدره، مبعدة جسدها عن الاحتكاك به، وفي عينيها سخرية حزينة من المشاعر التي تملكتهما.

قالت: «كنت مصيباً حين عانقتني أول مرة، ثم قلت إن هذا ليس عدلاً».

فقال: «لن أدعك ترحلين يا جينا».

ـ ستفعل... في النهاية. أظن أن بيتر فهم الأمر تماماً. أسرتك... الورود هذه الليلة من أجل النجاح فقط. لا يهمك الثمن... تريد فقط أن تنجح.

واستشاط غضباً: «أتعنين أوين؟ لديه مصلحة في هذا القول، تماماً مثل ميشيلا».

فقالت: «إنها مصلحة على الأقل».

ولوت شفتيها قبل أن تسأله: «أين أنا في عالمك؟».

فأجاب: «معي».

ـ ملك السكر؟ المدير التنفيذي في مصرف خاص؟ وارث القصر؟.

ـ أنا رجل مثل أي إنسان آخر.

فقالت: «لا يا اليكس، فأنت رجل غير عادي. لعلك لم تلاحظ عندما فرضت نفسك على أسرتي، الرهبة التي كانت تتملكهم. كيف يمكنهم أن يرفضوا دعوة ملك؟ أسرتك تمثّل سلطة لم يعرفوها شخصياً. لم يفهموا أنك فعلت هذا لتثبت لي أنك لم تكذب عليّ، لقد جذبتهم إلى وضع عليّ أن أفسره، وما هو الجواب الذي عليّ أن أعطيه؟».

أجابها بصوت أجش: «يمكن القول إن الوضع يفسر نفسه بنفسه. فأنا أهدف إلى إقامة علاقة جادة مع ابنتهم، معك يا جينا!».

فسألته: «مع ابنة مزارع قصب عادي؟».

ـ لكنك لست عادية!.

ـ بل أنا أرملة صياد سمك عادية، لديها طفل ليس ابنك.

ـ سأشعر بالفخر لو كان ماركو ابني. إنه طفل رائع.

فقالت: «نعم. هو كذلك. لكنه ليس ابنك».

والتهبت عيناها بيأس بالغ لعناده ورفضه احتجاجها، وعادت تقول: «ما تريده مني لن يتضمن أبداً اعتبار ماركو إبناً لك، أليس كذلك؟ فستود أن ترزق بأولاد منك».

أترى ميشيلا أدخلت كل هذا في ذهنها؟

أم أنه بيتر أوين؟

ميشيلا وأوين يتبعان مصالحهما، من دون الاهتمام بما يحطمانه طالما التحطيم يخدم تلك المصالح. نهار الخميس بدأت ميشيلا بالهدم، ثم جاء عرض العمل الذي قدمه لها أوين، وها هو الليلة يسمم أفكارها عن نجاح...

وفجأة استحالت يدا جينا إلى قبضتين أخذتا تضربانه على صدره: «نحن لسنا دميً تلهو بها متى شئت، ثم تلقي بها عندما تسأم منها».

رد ثائراً وهو يمسك بقبضتيها ليكبح مشاعره: «ولا أنا. لماذا لا تصغين إليّ يا جينا، بدلاً من أن تصغي إلى الناس الذين يفترون عليّ؟ أرادت ميشيلا أن تتخلص منك. وأوين يريد أن يستغلك وأنت جعلتهما يفسدان كل شيء بيننا».

صدمة، عذاب، اضطراب.

وعاد يقول: «كل ما شعرت به معي، ألم يعن لك شيئاً؟».

بدا الألم في عينيها، وهي تنظر إليه بقنوط: «وبماذا شعرت أنت معي، يا اليكس؟».

تنفس بسرعة، واستجمع طاقته كلها ليجيبها بشكل مقنع، وإذا

بصوت بيتر أوين يقول ببطء: «جاء الشرير»، وهو يخرج إليهما ويغلق الباب خلفه.

نظر الاثنان إليه مجفلين، وسحبت جينا إحدى يديها منه واستدارت جانباً.

نظر إليها بيتر بابتسامة صغيرة ملتوية وهو يتقدم نحوهما ثم قال: «أنا أعلم أنني وعدت بعدم التدخل، ولكن خطر لي للتوّ أنه من الممكن أن يسوّد اليكس سمعتي وهذا لا يناسبني على الإطلاق».

فقالت له بحدة: «ماذا تعني؟».

فوقف يشعل سيكارة.

ودّ اليكس أن يصفعه على وجهه. لكن جينا سحبت منه احدى يديها وهو لا يريد أن يطلق اليد الأخرى. فالإمساك بها أهم من أي شيء آخر بالنسبة إليه.

نفث بيتر دخان سيكارته، ثم أمال رأسه متأملاً، وسألها: «هل أخبرك أني الشخص الذي كان في الحديقة مع ميشيلا ليلة السبت الماضي؟».

شهقت مجفلة: «لا!».

فهز كتفيه وقال: «حسناً، إنه يعرف ذلك على أيّ حال، وربما يظن أنني اتفقت مع ميشيلا على إفساد علاقتك به، لكي أجعلك ترين عرضي أفضل بديل لديك».

فهتفت بألم... وخيبة أمل: «آه، بيتر!».

ـ لكن هذا ليس صحيحاً، قد أكون فاسد الأخلاق بعض الشيء، ولكن بوسعي أن أميّز بين امرأة مثل ميشيلا وامرأة مثلك. وكنت أعني كل كلمة عندما قلت لك إنني سأعاملك كأختي. وأقول لك بصدق تام، إن الأوحال التي رمتك ميشيلا بها، ليست من صنعي.

سألته: «لكنك كنت تعلم أنها ستفعل ذلك؟».

فأومأ وأجاب: «الناس يفعلون ما يصممون على فعله، وأنا ليس لدي القوة لمنعها، ميشيلا لا تهتم سوى بنفسها».

عندئذ، تدخّل أليكس وقال بلهجة لاذعة: «كحالك أنت يا بيتر».

ابتسم بيتر ابتسامة أخرى ملتوية وأجاب: «الغريب في الأمر هو أنني كنت لأوافقك على ذلك في الأسبوع الماضي، لكنني أجد نفسي الآن مهتماً بسعادة جينا سواءً معك أو مع أي شخص آخر فصوتها عظيم ويجب أن يسمعه الناس، ويمكنني أن أساعدها في هذا. لذا لا تستعمل رأيك فيّ لكي تقلل من شأن ما يمكنني تقديمه لها. فهذا سيجعلها تتألم، يا أليكس. وغناؤها يعبّر عن ذاتها».

لم يكن اليكس يتوقع هذه البصيرة والقدرة على التفهم والاحساس من بيتر أوين، ولا هذا الإخلاص الذي ظهر منه. ترى هل مست جينا وتراً ما في قلبه؟ كان هذا ممكناً حتماً. أخذ اليكس يفكر في ذلك بصمت وقد تبدّد ازدراؤه للرجل وحلّ مكانه شيء من الإحترام.

نظر بيتر في عيني جينا لحظة ما لبث بعدها أن قال لأليكس متحدياً بسخرية: «في الواقع، ما عرضته أنا على جينا حقيقي... وفي مصلحتها. هل يمكنك أن تقول الكلام نفسه عن ما تعرضه أنت عليها؟».

كان اهتمامه بجينا واضحاً تماماً، وراحت أفكار اليكس تحاول فهم هذه المسألة الصعبة عندما رفع بيتر يده يحيّي جينا، قائلاً بسخرية كما في سيناريوهات المسرح: (خروج الأخ الأكبر).

ـ سأتصل بك يوم الاثنين. هل هذا مناسب؟

فأومأت: «شكراً، يا بيتر».

أخذا ينظران إليه وهو يعود إلى الردهة، وقد جعلهما التحدي

الذي أطلقه يلوذان بالصمت، هذا الصمت الذي كان اليكس يعلم أنه أكبر عدوٍّ له في معركته هذه الليلة مع جينا. ومع ذلك فقد أعطاه بيتر أوين سلاحاً قد يفتح قلبها وذهنها على الحقيقة التي دفعته إلى المجيء إلى هنا.

(غناؤها يعبّر عن ذاتها).

هذا صحيح. وعليها أن تدرك ذلك.

قال لها: «تلك الكلمات التي غنيتها الليلة (الحب يغيّر كل شيء)... غناؤك لها بذاك الشكل يعني أنك تؤمنين بها.. عليك إذاً أن تؤمني بأن الحب يغير كل شيء».

* * *

١٧ ـ نار الحياة

الحب؟

كانت أفكار جينا مشوّشة وقد راحت تعذبها منذ... منذ أهداها اليكس الورود الحمراء. فالورود الحمراء ترمز إلى الحب؟

الأمل القويّ الذي راودها حينذاك... يا الله... هل يمكن أن يكون هذا صحيحاً؟ أرجوك يا الله...

وبشيء من الاستسلام، رفعت بصرها إلى الرجل الذي تتشوق إلى حبه من كل قلبها.

نظرة قوية منه تفيض بالأسرار، محت كل شك راودها. وغمرها فيض من الحب اكتسح المخاوف التي تملكتها.

همست وهي لا تجرؤ على التصديق: «ماذا تقول، يا أليكس؟».

فأجاب: «أقول إنني أحبك، يا جينا ترليزي، وهذا حتماً يغير كل شيء».

انتعش جسدها كله للطاقة التي سكبها فيها، فقررت أن تشفي كل صدع حدث بينهما، وتثبت أن الطريق أصبح سالكاً بينهما، فلا حواجز ولا حتى ظلال حواجز.

هل غيّر ذلك... كل شيء؟

وقالت بصوت مخنوق، شاعرة بالخزي لقوة عواطفه نحوها: «آسفة لـ... لإ صغائي إلى ميشيلا».

فقال: «وأنا آسف لوقوعي في شركها منذ البداية، لم يكن ذلك صواباً أبداً. لم يكن صواباً كما هو معك، يا جينا».

ومد يده يلامس وجنتها برقة بالغة.

تنفست بعمق ثم سألته: «وكيف تعرف ما إذا كان صواباً هذه المرة يا أليكس؟».

ودون تردد، أجاب: «أظن أن بإمكاني أن أقول إنني عرفت ذلك في أعماقي منذ يوم تعارفنا. وكانت هذه القناعة تقوى يوماً بعد يوم. لم أختبر مثل هذا الشعور من قبل، لقد عرفت نساء وجدتهن بالغات الجاذبية، لكن ما شعرت به نحوك أعمق بكثير. وكأنك في دمي، يا جينا، تتحركين فيه وتجعلينه يغني».

فكّرت في أنّ هذا التشبيه صحيح، لأن الحب أشبه بالموسيقى، صوت عالٍ ساحق أحياناً ورقيق ناعم أحياناً أخرى. إنه عاطفي محموم ورقيق بهيج أو عاصف وحزين أيضاً.

وقال مؤكداً: «هناك شيء واحد أنا واثق منه، وهو أنه لن ينتهي أبداً، لأنه ليس شمعة صغيرة، بل هو شيء جوهري أساسي سميه نار الحياة، هذا ما أشعلت في نفسي، وأنا لا أريده أن ينطفىء».

نار الحياة... وبدا هذا لجينا وصفاً ممتازاً للحب... الشرارة السحرية التي تجذب المرأة إلى الرجل، فتشعل بينهما الحرارة التي تلد في النهاية الأطفال. ينبوع الدفء الذي يعطي للحياة معنىً، بالأمس شعرت وكأنها استحالت رماداً... رماداً بارداً ميتاً... والغناء لا يحل أبداً مكان النار. كل ما يفعله المرء هو أن يعكسه

بالموسيقى.

قالت: «أنا أيضاً لا أريده أن ينطفىء يا اليكس، لقد تهورت تقريباً بعقد اتفاقية مع بيتر أوين لأنني... لأنني كنت خائفة من الفراغ... الوحدة... بعد أن رحلت أنت».

فقال: «أنا باقٍ هنا، دوماً سأكون هنا من أجلك».

اغرورقت عيناها بالدموع: «آسفة لأنني لم أصدق. قالت ميشيلا أشياء... أشياء بدت لي صحيحة. قالت إن طريقة حياتنا مختلفة غير منسجمة وأنت بهذا المركز بينما أنا...».

فقاطعها: «أنت رائعة. أنت تمثلين كل ما أريده في المرأة يا جينا... كل شيء! وإياك أن تدعي أحداً بعد الآن يقنعك بخلاف هذا. لعل رؤيتهم للأمور مشوّشة بسبب أمور لا صلة لها بي، لكن رؤيتي واضحة تماماً. هل استوعبت هذا؟».

أومأت وقد أخرسها الفرح والعجب.

فقال: «أما بالنسبة إلى الاتفاقية التي أبرمتها مع بيتر أوين...».

فاندفعت تقول، وقد خشيت أن يفسد عملها علاقتهما: «لا أدري ما إذا كنت أريد متابعة هذا العمل».

وتنهدت بصوت مرتجف ثم باحت بأعز حلم في حياتها:

ـ الحقيقة هي أنّ جلّ ما كنت أريده... هو الغناء لأطفالي، فأنا وانجيلو، كنا نخطط لبناء أسرة كبيرة.

طوق اليكس خصرها بذراعه يشدها إليه وقال: «سيكون لنا أسرة كبيرة كما تحبين. وسأتخذ ماركو إبناً لي إذا سمحت لي بأن أتبناه. هذا ما أريده، هذا ما أريده فعلاً، قد لا أكون مثل انجيلو نحوه، لكنني سأبذل جهدي لكي أملأ هذا الدور في حياته يا جينا. إنه يجعلني أشعر بأنني..».

وبدا في ابتسامته توسل غريب: «أتمنى لو أنه ابني».

فخفق قلبها: «هل تفكر.. هل تفكر بالزواج؟».

فالتهبت عيناه تأكيداً: «أريدك زوجة لي وأماً لأولادي، هذا ما سنُقدم عليه يا جينا إذا كنت سعيدة بمرافقتي».

وانفجر في جوفها نبع من السعادة.

وعاد يقول: «لكن هذا لا يعني أنني أريدك أن تتخلي عن مهنة الغناء. صوتك هبة رائعة، وأظن أن على العالم بأسره أن يسمعه. أوين محق وأنا كنت مخطئاً في حقه ولا أشك الآن في أنه سيبذل جهده من أجلك، يا جينا».

فقالت: «لكنني لا أريد أن يؤثر عملي في...».

قاطعها قائلاً: «لن يؤثر عملك في حياتك، فستسير الأمور على ما يرام».

ثقته بنفسه، اطمئنانه الكامل إلى قدرته على معالجة الأمور، جعلا جينا تخرس رهبة. هل من الممكن أن تتحقق الأحلام كلها؟ يبدو أن ما ينتظرها في المستقبل أكثر تألقاً مما حلمت به. وكان صعباً عليها استيعاب ذلك... صعباً أن تصدّق أن أسسه وضعت الآن... مع اليكس... اليكس كينغ!

شعرت بحبها يتعاظم نحوه، فوقفت على اطراف أصابعها تحيط عنقه بذراعيها، وهي تعترف قائلة:

ـ كنت خائفة... ظننتك تحطم كل شيء أمامك، لكي تحصل فقط على ما تريد، حتى باستغلال أسرتي...

ثم أضافت: «أحبك، يا اليكس كينغ».

فالتهبت عيناه وأجاب: «سنجد مكاناً لنا. أعدك بأننا سننجح معاً يا جينا».

تنهدت بقوة: «نعم».

وذلك المكان (في مكان ما) كما تقول الأغنية، أصبح هنا فجأة

وهما يتعانقان، مفرغين كل ما في قلبيهما من عواطف محمومة، محتضنين النيران التي أشعلها الواحد منهما في الآخر، مصممين على رعايتها طوال سنوات حياتهما.

* * *

١٨ ـ دعوة زفاف

«عزيزتي اليزابيث،

يسرّني أن أخبرك أن ترتيبات العرس قد استكملت الآن بين حفيدي الاكبر أليساندرو وجينا ترليزي، وهي امرأة شابة خطبها بموافقتي التامة. إنها من أسرة إيطالية جيدة، وهي أرملة، لديها طفل من أروع الأطفال الذين يمكن أن تتصوريهم، اسمه ماركو، وسيتبناه اليساندرو قانونياً، في أسرع وقت.

لعلك تتساءلين كيف حدث كل هذا فيما كان اليساندرو مصمماً على الزواج من تلك المرأة الأخرى حين كنت أنت هنا معنا. عملاً بنصيحتك الرائعة، أخذت أخطط للجمع بين جينا واليساندرو، وتحول اللقاء بينهما إلى علاقة رائعة لشدة تناسبهما مع بعضهما البعض. ذكراني كيف كنت مع إدوارد، وأنا واثقة من أنه سيكون زواجاً جيداً ومثمراً. إنه الزواج الذي تمنيته لأليساندرو.

أرجو أن تتمكني من حضور العرس، سأرسل دعوات لأبنائك الثلاثة وأسرهم، فقد تدفع سعادتهم الأسرية حفيديّ أنطونيو وماتيو إلى التفكير جدياً بالبحث عن زوجة تضفي الحب على حياتهما.

أدرك الآن أن الحب والزواج نعمة من الله حقاً.

فالمرء لا يمكن أن يختار الحب أو يطلبه، ويحدث فقط عندما

www.elromancia.com

يلتقي شخصان متلائمان. ومع ذلك، في المستقبل سأبحث عن عروسين مناسبين لحفيديّ الآخرين. بعد أن وجدت جينا لأليساندرو، لا يمكن أن أخطىء كثيراً في اختياري.

مع حبي واحترامي الخالصين.

ايزابيلا ڤاليري كينغ».

* * *

www.elromancia.com
رومانسية